بسم الله الرحمن الرحيم

أبو طالب
ثالث من أسلم



الحسني، نبيل قدوري، ١٩٦٥- م.

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم / تأليف نبيل قدوري الحسني. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. = ٢٠٠٨م.

٢٠٦ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٧).

المصادر : ص. ١٨٩ - ٢٠١ ؛ وكذلك في الحاشية.

١ . أبو طالب بن عبد المطلب، ٩١ ؟ - ٣ قبل الهجرة. - نقد وتفسير. ٢ . محمد (ص)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ ق. - السيرة. ٣ . ابن إسحاق، محمد، ٨٥ ؟ - ١٥١ ؟ ق . - شبهات وردود. ألف. عنوان.

٢ ألف ٥ ح / ٦ / ٢٥ BP

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

أبو طالب
ثالث من أسلم

تأليف

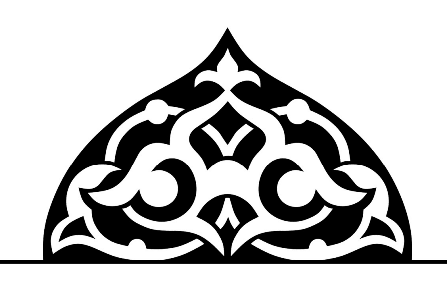
السّيّد نبيل الحسني

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



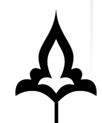
قال الإمام علي بن أبي طالب وهو يفاخر فاطمة عليهما السلام :

«أنا ابن صالح المؤمنين».

فقالت فاطمة عليها السلام :

«وأنا ابنة خاتم النبيين».

«الفضائل لابن شاذان : ص٨٠»



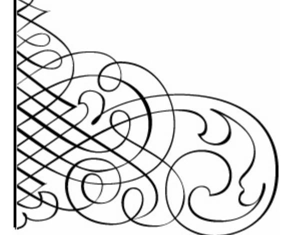


الإهداء

إلى من بعثه اللهّ رحمة للعالمين وصلى عليه والملائكة أجمعون.

قَدِمْتُ بهديتي الصغيرة، ماداً يدي إلى معين لطفه، ملتمساً عطفه وحنانه، التماس الولد من الوالد العطوف. فيا أيها الوالد الرحيم بولده، والمشفق برعيته، والشافع لأمته، ها أنا ذا واقفاً بين يديك وقد أعياني ثقل الذنوب وأضناني تكاثر العيوب. ها أنا ذا ملتمساً من كوثر خيرك شربة روية من يد ابن عمك النبأ العظيم. ها أنا ذا أحبو إليك يوم الظمأ والرمض، والجزع والفزع. ها أنا ذا جاثياً عند قدميك يوم الورود والناس من حولي شهود ينظرون إليّ ماذا تصنع بكتابي؟

سيدي: أتتركني لعملي أم تمن علي بعطائك؟.



لا، وحق من اتّخذك حبيباً وانتجاك خليلاً لن تتركني وقد سمّاك الرحمن شفيعاً.

لا، وحقك لن تدعني وقد عنونت صحيفتي بحب أبي طالب وولده.

فبحقهم أقبل مني هديتي يا والدي.

مقدمة القسم

الحمد لله حمدا لا يحصيه غيره على نعمة العلم التي حبانا بها ولم يجعلنا من الأراذل كما جاء على لسان سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام:

«**إذا أراد الله أن يرذل عبدا حرم عليه نعمة العلم**».

والصلاة والسلام على المعلم الأكبر، والسراج الأنور، وسيد البشر، أبي القاسم محمد وعلى آله الذين حملوا شريعته وطبقوا نهجه وحفظوا دينه وسلم تسليما كثيرا.

(أبو طالب ثالث من أسلم) هو عنوان كتاب أصدرته شعبة الدراسات والبحوث في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة بقلم فاضل من فضلائها وباحث من باحثيها شمر عن ساعديه ليغوص في بحر الشكوك والشبهات التي طالت سيد البطحاء وحامي الرسول ومؤيد الرسالة ليخرج لنا لؤلؤة جديدة غير ما أخرجه الباحثون من قبله ألا وهي الاستدلال على رتبة إسلام أبي طالب عليه السلام، فأثبت من خلال غوصه ومسبره أغوار هذا البحر أن أبا طالب عليه السلام هو ثالث المسلمين بعد السيدة الكبرى خديجة عليه السلام وولده الوصي علي عليه السلام.

إن إثبات إسلام أبي طالب عليه السلام في هذا الكتاب لم يَنَلِ اهتمام الباحث وذلك لعدم حاجته إلى إثبات أمر تسالم عليه العقلاء وأقره أهل بيت العصمة عليهم السلام وخاض فيه جهابذة العلم فصار أمرا بديهيا.

فلذا ما ورد في هذا الكتاب أمر جديد لم يطرقه أحد من قبل وهو إثبات أن أبا طالب ليس مسلما فحسب بل هو السبّاق لاعتناق الإسلام والإقرار بالرسالة المحمدية لم يسبقه أحد إلى ذلك إلا امرأة ورجل فقط.

وعطف الباحث قلمه على منحىً آخر لا يقل أهمية عن مبحثه الأول ألا وهو إثبات عدم سرية الرسالة وعدم خشية رسولها الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يخشى إلا ربه سبحانه.

ومن المبحث الأول والمبحث الثاني ولد كتابنا المبارك ليأخذ مكانه بين أشقائه في المكتبة الإسلامية.

الشيخ علي الفتلاوي

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها»[1] فكان من نعمه عزّ شأنه أن منّ عليّ بنعمة الإسلام واتّباع سبيل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ الحديث عن الحقيقة التاريخية في زحمة التلاعب بالنصوص وتوظيفها للمصالح الشخصية والميولات النفسية؛ حديث عسير كعسر من جمد في أحشائها جنينها فاشتد عليها المخاض وأعياها الألم.

وكانت بين أمرين إمّا الاستسلام لهذا الواقع مع ما فيه من خطورة وألم على أنّه واقع حال؛ وإما الخضوع لعملية جراحية تخرج الجنين من بين زحمة العمل الجراحي والنفسي.

هكذا حال الحقيقة التاريخية إذا أريد لها الظهور؛ وهكذا يكون حال من ينتظرها، فهو إمّا أن يستقبلها بالانبساط وإمّا:

(١) هذا ما ابتدأت به بضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فاطمة الزهراء عليها السلام خطبتها الاحتجاجية في المسجد النبوي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(١).

لكنّ هذا العسر وجهد البحث لم يكن حائلاً لمن استعان بالله تعالى وعقد العزم على المضي في إخراج الحقيقة إلى النور: بل مجموعة حقائق ضمها الكتاب بين دفتيه من خلال مباحثه التي شكلت بمجموعها ملامح صورة نقية لواقع تاريخنا الإسلامي وشخصياته التي كانت مادته الأساسية؛ ومن بينها شخصية أبي طالب عليه السلام.

فهذا العملاق الذي أعيا رقاب الأقزام عند النظر إليه، وانحدر الأعراب عن سفح شموخه حينما أرادوا الصعود إليه، فأجهدهم هذا الحال وأضناهم التكرار أن قالوا: «إنه مات على دين قومه ولم يسلم»!! وتناسى أولئك الأعراب أنّ العاقبة لمن اتقى وإنّ الأيام لكفيلة بإعادة تركيب ملامح الحقيقة التاريخية لتظهر بصورتها التي خطها قلم الواقع.

هذا الواقع الذي جمعت مكوناته من خلال المباحث التي تناولها الكتاب فمن «حديث الضحضاح وآراء العلماء فيه» إلى «تلويح الحافظ الخركوشي بأنه ثالث من أسلم» ومن «سرية الدعوة النبوية» إلى «العلة في إخفاء أبي طالب لإسلامه» ومروراً بمبحث «تدخل الخلفاء وأشياعهم في تدوين السيرة النبوية» إلى «تصريح العترة النبوية عليهم السلام بإيمان أبي طالب عليه السلام»، وانتهاءً «بدفاع أبي طالب عن إيمانه بالإسلام حتى النفس الأخير».

(١) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

كلها مباحث استطاعت إعادة تركيب صورة حقيقة إيمان أبي طالب عليه السلام، وانه ثالث من أسلم.

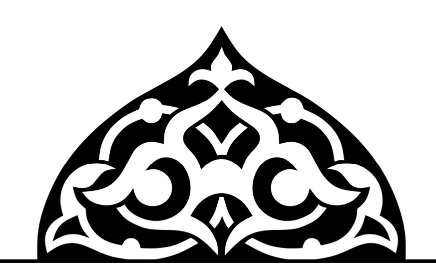
من جوار عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام قد

أحرزت توفيقي ومن أروقة مكتبة الأسد بدمشق الشام

جمعت مادتي وحررت ورقي.

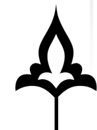
السيد نبيل قدوري حسن الحسني

٢٠٠١ م





وقفة مع حديث الضحضاح وآراء العلماء فيه





إنَّ الحديث عن شخصية أبي طالب عليه السلام، حديث له شجون كالتي تركها مصاب فقده على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والحديث عنه لا تسعه هذه الوريقات المعدودة، بل لا تسعه كتب كثيرة فيما لو أرادت الأقلام أن تنصفه وتفي بحقه على الإسلام والإنسانية؛ فبقدر ما لهذه الشخصية من فضل كبير على الإسلام، بقدر ما ظُلمت من أناس لا يختلفون فيما بينهم من حيث الظلم الذي أنزلوه به في حياته أو بعد مماته.

فالذين حاربوه في حياته كان سبب ظلمهم له هو وقوفه بوجههم كالجبل الشامخ الذي تكسرت على سفحه فؤوسهم، وتهشمت على صخوره رؤوسهم.

فكانوا في حسرة جامرة تتلظى بها أكبادهم، وهم ينظرون إليه وقد انحنى على ابن أخيه كمحارة أطبقت صدفتيها على لؤلؤتها فتكسرت على جوانبها أضراسهم.

والذين حاربوه بعد مماته فلكونه أنجب علياً عليه السلام. الذي أفنى حياته في الدفاع عن الإسلام وتثبيت قواعده.

وهي حقيقة عرفها مخالفو علي عليه السلام ومحبوه، بل حتى الذين اتخذوا نهجاً حيادياً في تقييمهم للأحداث التي لازمت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم؛ فقد أيقنوا ان السبب في ظلم أبي طالب واتهامه بعدم الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو هذه الحقيقة، وفيها يقول ابن أبي الحديد المعتزلي:

ولـــولا أبـــو طالـــب وابنـــه	**لمـا مثـل الـدين شخـصاً وقامـا**
فـــذاك بمكـــة أوى وحـــامى	**وهـذا بيثـرب جـس الحمامـا**
تكفـــل عبـــد منـــاف بـــأمر	**وأودى فكـــان علـــيٌ تمامـــا**
فقـــل فـــي ثبيـــر مـــضى بعـــدما	**قـضى مـا قـضاه وأبقـى شـماما**
فللـــــه ذا فاتحـــا للهـــدى	**ولله ذا للمعـــالي ختامـــا**
ومـــا ضـــر مجـــد أبـــي طالـــب	**جهـول لغـا أو بـصير تعـامى**
كمـــا لا يـــضر إيـــاة الـــصباح	**مـن ظـن ضـوء النهـار الظلامـا**[1]

فكان أبو طالب عليه السلام كما عرفه التاريخ الإسلامي والإنساني والحضاري رمزاً من رموز الإيمان؛ وعنصراً من عناصر تكوين الإنسانية؛ وحرفاً من حروف أبجدية الحضارة الإسلامية؛ فبه يكتمل مفهوم هذه الأبجدية، وبدونه يظهر الإسلام كشيفرة وقف عندها الأعراب كثيراً؟!. حتى حارت فيها عقولهم وعجزت عن إدراكها أذهانهم؛ واستنكرتها قلوبهم.

وأنى لهم الوصول إلى معرفة هذه الشخصية والإحاطة بها والقرآن ناطق بعجزهم إذ:

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٤، ص ٨٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

ولما دخل هؤلاء الأعراب إلى الإسلام وجاءوا إلى هذه الأبجدية وحاولوا قراءتها ، احتارت عقولهم عند أحد رموزها ، واضطربت قلوبهم من وجودها.

فكيف ترضى تلك القلوب التي لم يدخلها الإيمان ان ترى أبا طالب أحد رموز هذا الإيمان ، وأحد عناصره؟.

بل كيف لهذه العقول ان تفتح أبوابها لترد عليها هذه الأبجدية وأحد حروفها أبو طالب عليه السلام.

بل كيف لهذه القلوب ان تهدأ نيران حقدها وغيظها على أبي طالب وقد فوت عليهم مراراً فرص النيل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فكان هذا التحسس وهذا الشعور بالألم حتى التضور بفعل نيران بغضهم وأحقادهم التي تغلي منها أكبادهم ان قالوا :

«ان أبا طالب في ضحضاح من النار يغلي منها دماغه»[(١)]؟!.

وفي الواقع ان أدمغتهم هي التي تغلي من نيران أكبادهم... وتتلظى من أجمار قلوبهم.

لان هذا الحديث من الناحية النفسية يكشف عن حقيقة هؤلاء وما عليه حالهم من المعاناة ، والألم النفسي الذي يتجرعونه ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة العلمية بقوله :

«ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري ، باب : حديث الإسراء ، ج ٤ ، ص ٢٤٧.

(٢) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ : ج٤ ، ص ٧.

فأراد هؤلاء أن يبينوا الحال الذي عليه أدمغتهم وما يجري فيها من غليان، فأشاروا إلى المسبب لهذا الغليان، ونسبوا إليه الحال الذي هم فيه.

ومما يؤسف له أن صحاح المسلمين تنقل عن ألسنة هؤلاء المنافقين حديث: «الضحضاح»!! دون أن تضع نصب أعينها حرمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يصفون كافل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحامي النبوة بهذا الوصف الذي يندى له جبين الإنسانية.

فكان الغرض من هذا الوصف هو نسب الكفر إلى أبي طالب ـ والعياذ بالله ـ مما دعا كثيراً من العلماء من السنة والشيعة إلى الدفاع عن ناصر الإسلام وحامي النبوة، فكتبوا العديد من الكتب والبحوث تناولوا فيها الرد على ما ورد عن ألسنة المنافقين وما نسبوه إلى أبي طالب عليه السلام من عدم الإيمان بالله والنبوة، نذكر منهم تيمناً:

١ ـ إيمان أبي طالب عليه السلام تأليف الشيخ المفيد رحمه الله وهو أقدم ما كتب في هذا الموضوع، وكان قدس سره قد ابتدأه بقوله: «فإنني مثبت بتوفيق الله عز وجل، وما يهب من التسديد، طرفاً من المقال في المعنى الذي كنت أجريت منه جملاً «بحضرته معاينة»[1]، وما في حيزه بيان الطرف والجمل من الدلائل على إيمان أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف عليه السلام، المقتضبة من مقاله وفعاله، التي لا يمكن دفعها إلا بالعناد، وإن كنت قد أشبعت الكلام في هذا الباب في مواضع من كتبي المصنفات، والأمالي المشهورات ليكون ما يحصل

(١) أراد بذلك: أحد أساتذته الذين عرض عليهم بعض جمل هذا الكتاب.

به الرسم في هذا المختصر تذكارا، ولما أخبرت عنه بيانا، وفي الغرض الملتمس منه كافياً، وبالله استعين[١].

٢ ـ أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لمحمد كامل حسن المحلمي، طبع ضمن سلسلة عظماء الإسلام التي يصدرها المكتب العالمي في بيروت.

٣ ـ أبو طالب مؤمن قريش: للأستاذ الأديب الشيخ عبدالله بن علي الخنيزي القطيفي المولود سنة (١٣٥٠) هـ، مطبوع عدة مرات، ترجم له الشيخ الطهراني في «نقباء البشر»[٢].

وقال: «حكم عليه من أجله ـ أي كتابه أبو طالب مؤمن قريش ـ قضاة الشرع السعوديون بالإعدام لولا أن أنجته الصرخات التي توالت من البلدان الإسلامية وزعماء الدين من الشيعة من تنفيذ ذلك به».

٤ ـ إثبات إسلام أبي طالب: لمحمد معين بن محمد أمين بن طالب الله الهندي السندي التتوي الحنفي، المتوفى سنة (١١٦١) هـ، أحد العلماء المبرزين في الحديث والكلام والعربية.

ذكره سماحة الحجة السيد عبد العزيز الطباطبائي في «أهل البيت في المكتبة العربية»، رقم (١٣).

٥ ـ أخبار أبي طالب وولده: للعلامة الحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف المدائني الأخباري (١٣٥ ـ ٢١٥) وقيل ٢٢٥هـ، قال عنه

---

(١) إيمان أبي طالب، الشيخ المفيد: ص ١٧، ١٨.

(٢) نقباء البشر، آغا بزرك الطهراني: ج ٤، ص ١٣٩٣.

الذهبي: «كان عجبا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، على الإسناد»[١].

عد هذا الكتاب من تصانيفه ابن النديم في «الفهرست»[٢]، وياقوت الحموي في «معجم الأدباء»[٣].

٦ ـ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب للعلامة احمد زيني دحلان، الفقيه الخطيب مفتي الشافعية «١٢٣٢ ـ ١٣٤٠ هـ»، اختصر فيه كتاب «بغية الطالب لإيمان أبي طالب» للعلامة محمد بن رسول البرزنجي، وأضاف عليه مطالب مهمة، طبع بمصر سنة (١٣٠٥هـ) وبعدها مكرراً.

وترجمه إلى اللغة الأردوية المولوي الحكيم مقبول أحمد الدهلوي وطبع في دلهي سنة (١٣١٣هـ)، ذكره الشيخ في الذريعة[٤].

٧ ـ إيمان أبي طالب: لأحمد بن القاسم.

قال عنه النجاشي: «الرجل من أصحابنا رأينا بخط الحسين بن عبيدالله كتاباً له في إيمان أبي طالب»[٥].

والحسين بن عبيدالله هو أبو عبدالله الغضائري شيخ النجاشي بالاجازة، مات سنة (٤١١هـ).

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج ١٠، ص ٤٠٠.

(٢) الفهرست لابن النديم: ص ١٤٨.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج ١٤، ص ١٣١.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني: ج ٤، ص ٧٨.

(٥) رجال النجاشي: ص ٩٥.

٨ ــ إيمان أبي طالب: للشيخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الجرجرائي الكاتب، قال عنه النجاشي: «ثقة، صحيح السماع، وكان صديقنا»[(١)].

٩ ـ إيمان أبي طالب: للشيخ الرجالي أبي علي أحمد بن محمد بن عمار الكوفي المتوفى سنة (٣٤٦هـ)، وصفه النجاشي[(٢)]، والشيخ الطوسي: «شيخ من أصحابنا، ثقة، جليل القدر، كثير الحديث والأصول»[(٣)]. وله أيضاً كتاب: أخبار آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفضائلهم وإيمانهم وكتاب الممدوحين والمذمومين.

١٠ ــ إيمان أبي طالب: للفقيه المتكلم السيد الجليل أبي الفضائل جمال الدين احمد بن موسى بن جعفر بن طاووس العلوي الحسني الحلي، المتوفى سنة (٦٧٣هـ)، ذكره هو في كتابه بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية.

١١ ـ إيمان أبي طالب: للشيخ المحدث الجليل أبي محمد سهل بن أحمد بن عبدالله بن احمد بن سهل الديباجي البغدادي «٢٨٦ ــ ٣٨٠هـ»، ذكر كتابه النجاشي في رجاله[(٤)].

١٢ ـ إيمان أبي طالب: لأبي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي المتوفى سنة (٣٧٥هـ) أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المحققين العارفين بصحيحها من سقيمها.

---

(١) رجال النجاشي: ص ٨٧.

(٢) رجال النجاشي: ص ٩٥.

(٣) الفهرست للشيخ الطوسي: ص ٢٩.

(٤) رجال النجاشي: ص ١٨٦.

ذكر كتابه هذا الشيخ الطهراني، وقال: «نقل من بعض فصوله الحافظ العسقلاني في ترجمة أبي طالب في الإصابة وصرح بكونه رافضياً»[١].

١٣ ـ إيمان أبي طالب: للميرزا محسن ابن الميرزا محمد المعروف بـ«والا مجتهد» القرة داغي التبريزي من أعلام القرن الثالث عشر[٢].

١٤ ـ إيمان أبي طالب: للسيد حسين المجتهد المفتي الموسوي العاملي الكركي، المتوفى سنة (١٠٠١هـ)؛ وقد نسب هذا الكتاب لمؤلفه المذكور «الشيخ الطهراني وقال: لبعض الأصحاب استدل فيه ـ أي في هذا الكتاب ـ على إيمانه بفعاله ومقاله وفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم به، ومقاله فيه؛ فذكر بعد بيان أفعال أبي طالب أقواله المنبئة عن إسلامه وحسن بصيرته، وأورد كثيراً من أشعاره من الشرح والبيان[٣].

١٥ ـ بغية الطالب في إسلام أبي طالب، ينسب للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة (٩١١هـ) توجد نسخته في مكتبة (قوله) بمصر، ضمن مجموعة برقم (١٦) تاريخها (١١٠٥هـ)[٤].

١٦ ـ بغية الطالب في إسلام أبي طالب، للعالم الجليل المفتي السيد محمد عباس ابن السيد علي أكبر الموسوي التستري اللكهنوي (١٢٢٤ ـ ١٣٢٠٦هـ)، ذكره اللكهنوي في كشف الحجب، والشيخ الطهراني في الذريعة[٥].

---

(١) الذريعة لآغا بزرك الطهراني: ج ٢، ص ٥١٣.

(٢) كلمة فارسية يراد بها «المجتهد الأعلى». «الذريعة لآغا بزرك الطهراني: ج ٢، ص ٥١٣».

(٣) الذريعة للطهراني: ج ٢، ص ٥١٢.

(٤) الذريعة للطهراني: ج ٢، ص ٥١١.

(٥) الذريعة للطهراني: ج ٣، ص ١٣٤.

١٧ ـ بغية الطالب في بيان أحوال أبي طالب، وإثبات إيمانه وحسن عقيدته، للسيد محمد بن حيدر بن نور الدين علي الموسوي الحسيني العاملي، فرغ منه سنة (١٠٩٦هـ)، ذكره الشيخ في الذريعة[١].

١٨ ـ بغية الطالب لإيمان أبي طالب، للعالم محمد بن عبد الرسول البرزنجي الشافعي الشهروزي المدني (١٠٤٠ ــ ١١٠٣ هـ) لخصه أحمد زيني دحلان، وسماه: «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب».

١٩ ـ البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي الحسن علي بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي، وصفه النجاشي في رجاله بقوله: «شيخ أصحابنا بالبصرة، ثقة، سمع الحديث فأكثر»[٢]. روى النجاشي كتبه عن شيخه المفيد واحمد بن علي بن علي بن نوح وذكر كتابه هذا أيضاً الشيخ الطوسي في الفهرست»[٣].

٢٠ ـ الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب للعالم الفقيه شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي، المتوفى سنة (٦٣٠ هـ)، كتاب قيم، كبير الفائدة، طبع عدة مرات.

٢١ ـ ديوان أبي طالب وذكر إسلامه، لأبي نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي، المتوفى سنة (٣٧٥ هـ)، ذكره بهذا العنوان في الذريعة[٤].

---

(١) الذريعة للطهراني: ج ٣، ص ١٣٥.

(٢) رجال النجاشي: ص ٢٦٥.

(٣) الفهرست للطوسي: ص ٩٦.

(٤) الذريعة للطهراني: ج ٩، ص ٤٢.

٢٢ ـ الرغائب في إيمان أبي طالب، للعلامة السيد مهدي بن علي الغريفي البحراني النجفي، ذكره الشيخ الطهراني[١].

٢٣ ـ شعر أبي طالب بن عبد المطلب وأخباره: للأديب الشاعر أبي هفان عبدالله بن احمد بن حرب المهزمي العبدي، من شيوخ ابن دريد الأزدي المتوفى سنة (٣٢١هـ)، ذكره النجاشي[٢]. طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة (١٣٥٦هـ) بشرح اللغوي الأديب عثمان بن جني المتوفى سنة (٣٩٢هـ)، عن النسخة التي كتبها عفيف بن أسعد ببغداد سنة (٣٨٠هـ) عن نسخة بخط الشيخ ابن جني وعارضها به وقرأها عليه.

٢٤ ـ الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب، للعلامة الحجة الشيخ الميرزا نجم الدين جعفر شريف ابن الميرزا محمد بن رجب علي الطهراني العسكري (١٣١٣ ـ ١٣٩٥هـ) مخطوط.

٢٥ ـ شيخ الأبطح للعلامة الفاضل السيد محمد علي ابن العلامة الحجة عبدالحسين الموسوي آل شرف الدين الموسوي كتاب لطيف في إثبات إيمان أبي طالب وبعض شعره، والرد على من نصب له العداوة طبع (١٣٤٩هـ) ذكره الشيخ في الذريعة[٣].

٢٦ ـ شيخ بني هاشم، للفاضل عبد العزيز سيد الأهل، طبع سنة (١٣٧١هـ)[٤].

---

(١) الذريعة للطهراني: ج ١١، ص ٢٤١.

(٢) رجال النجاشي: ص ٢١٨.

(٣) الذريعة للطهراني: ج ١٤، ص ٢٦٥.

(٤) الذريعة للطهراني: ج ١٤، ص ٢٦٥.

٢٧ ـ فصاحة أبي طالب، للسيد الشريف المحدث أبي محمد الحسن بن علي ابن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأطروش[١].

٢٨ ـ فضل أبي طالب وعبد المطلب وأبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشيخ الطائفة وفقيهها أبي القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي، المتوفى سنة (٢٢٩) أو (٣٠١هـ)[٢].

٢٩ ـ فيض الواهب في نجاة أبي طالب، للشيخ احمد فيض ابن الحاج علي عارف عثمان بن مصطفى الجورومي الحنفي (١٢٥٣ ـ ١٣٢٧هـ)[٣].

٣٠ ـ القول الواجب في إيمان أبي طالب، للعلامة الشيخ محمد علي ابن الميرزا جعفر علي الفصيح الهندي، نزيل مكة، فرغ منه في جمادى الأولى سنة (١٢٩٩هـ)[٤].

٣١ ـ مقصد الطالب في إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب، للميرزا شمس العلماء محمد حسين بن علي بن رضا الجرجاني المشهور بجناب، طبع في بومباي سنة (١٣٦١هـ)[٥].

٣٢ ـ منى الطالب في إيمان أبي طالب، للشيخ المفيد أبي سعيد محمد بن احمد بن الحسين بن احمد الخزاعي النيسابوري جد الشيخ المفسر أبي الفتوح

---

(١) رجال النجاشي: ص ٥٧.

(٢) رجال النجاشي: ص ١٧٧.

(٣) هداية العارفين: ج ١، ص ١٩٥.

(٤) الذريعة للطهراني: ج ١٧، ص ٢١٦.

(٥) الذريعة للطهراني: ج ٢٢، ص ١١١.

الرازي، من أعلام القرن الخامس الهجري، ذكره الشيخ منتجب الدين الرازي في الفهرست[١]. والحر العاملي في أمل الآمل[٢].

٣٣ ـ منية الراغب في إيمان أبي طالب، للعلامة الشيخ محمد رضا الطبسي النجفي، ذكره في كتابه «ذرايع البيان»[٣] وذكر في فهرس مؤلفاته المطبوع في آخر كتابه «ذرايع البيان»؛ أن «منية الراغب» طبع ثلاث مرات باللغتين العربية والفارسية.

٣٤ ـ منية الطالب في إيمان أبي طالب، للسيد الجليل حسين الطباطبائي اليزدي الشهير بالواعظ المتوفى سنة (١٣٠٧هـ) فارسي مطبوع[٤].

٣٥ ـ منية الطالب في حياة أبي طالب، للسيد حسن بن علي حسين القبانجي الحسيني النجفي ألفه سنة (١٣٥٨هـ) قال الشيخ الطهراني: «رأيته بخطه في ٢٨ صفحة»[٥].

٣٦ ـ مواهب الواهب في فضائل أبي طالب للعلامة البارع الشيخ جعفر بن محمد النقدي التستري النجفي (١٣٠٣ ـ ١٣٧٠هـ) ألفه سنة (١٣٢٢هـ) وطبع في النجف الأشرف سنة (١٣٤١هـ).

٣٧ ـ الياقوتة الحمراء في إيمان سيد البطحاء، للسيد الفاضل طالب الحسيني آل علي خان المدني الشهير بالخرسان المعاصر، والكتاب في مقدمة وثمانية فصول، وما يزال مخطوطا عنده».

---

(١) الفهرست: ص ١٠٢.

(٢) أمل الآمل: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٣) ذرايع البيان: ج ١، ص ١٦٩.

(٤) الذريعة للطهراني: ج ٢٣، ص ٢٠٤.

(٥) الذريعة للطهراني: ج ٢٣، ص ٢٠٤.

٣٨ ـ ظلامة أبي طالب للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي.

فكانت هذه قائمة بأسماء الكتب المؤلفة في إيمان أبي طالب[١]، ناهيك عن كثيرٍ من الأبحاث الضمنية في بطون الدراسات الإسلامية التي تناول فيها كتابها اشباع موضوع إيمان أبي طالب عليه السلام بالحجج والدلائل، منهم:

١ ـ العلامة الشيخ عبدالحسين النجفي الأميني رحمه الله في كتابه الخالد «الغدير»[٢] وقد ناقش الشيخ رحمه الله سند رواية الضحضاح، وبيّن طرقها ووهنها وضعفها وتناقض نصوصها العجيبة؛ بل يكفي لمن كان له ولو اطلاع بسيط على التاريخ الإسلامي ان يحكم على هذه الرواية بالزيف والسخف؛ إذ يكفي أن راويها «المغيرة بن شعبة»[٣] المشهور الزنى[٤] والبغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) اعتمدنا في نقل هذه القائمة على كتاب «إيمان أبي طالب» للشيخ المفيد رحمه الله تحقيق مؤسسة البعثة.

(٢) الغدير للأميني النجفي: ج ٧، ص ٣٦٨ ـ ٤١٠.

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن قيس الثقفي، أسلم عام الخندق، ولاه عمر بن الخطاب البصرة، ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنا، فعزله، ثم ولاه الكوفة، واقره عثمان عليها، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنه أبو أمامة الباهلي وقيس بن أبي حازم، ومسروق، ونافع، مات سنة ٥٠ هـ.

لمعرفة المزيد، أنظر: أسد الغابة: ج ٤، ص ٤٠٦؛ الإصابة لابن حجر: ج ٣، ص ٤٥٢ / ٨١٧٩؛ تهذيب التهذيب: ج ١٠، ص ٢٣٤.

(٤) اشتهرت هذه الحادثة اشتهاراً كبيراً في المصادر التاريخية في أحداث سنة ١٧ للهجرة، فمنهم من ذكرها مفصلاً كـ: «شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٢، ص ٢٣٦؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٦، ص ٣٦٥؛ السقيفة للجوهري: ص ٩٢؛ الإيضاح للفضل بن شاذان: ص ٥٥٣». ومنهم من ذكرها ملخصاً، راجع: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، باب: شهادة القاذف والسارق، ج ٥، ص ١٨٧. عمدة القارئ للعيني: ج ١٣، ص ٢٠٨. الإصابة ←

بـل، لقـد بـالغ في إظهـار بغـضه وحربـه للإمـام أمـير المـؤمنين علـي بـن أبـي طالب، ويكفينا في الاستدلال على ذلك شاهدان:

الشاهد الأول

ما رواه الجاحظ عن ابن الجوزي حيث قـال: «قـدمت الخطبـاء إلى المغيرة بـن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن صوحان فتكلم، فقال المغيرة: أخرجوه فـأقيموه على المصطبة فليلعن علياً فقال ـ صعصعة ـ: «لعن الله من لعنه الله ولعن علـي بـن أبي طالب» فأخبروه بذلك، فقال: أقسم بالله لتقيدنه فخـرج ــ صعـصعة ــ فقـال: «إن هـذا يـأبى إلا علـي بـن أبـي طالـب فـالعنوه لعنـه الله». فقـال المغـيرة: أخرجـوه أخرج الله نفسه»[1].

الشاهد الثاني

أخرج احمد بن حنبل في مسنده عـن قطبـة بـن مالـك، قـال: نـال المغـيرة بـن شعبة من علي فقال: زيد بن أرقم: قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن سب الموتى، فلم تسب علياً وقد مات»[2].

ولذا، كيف يمكن ان يكون حديث من هذا حاله؟! بل كيف يمكـن لعاقـل أن يصدق بحديث الضحضاح وراويه ينصب العداء لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

لابن حجر: ج ٢، ص ٤٩».

وفي شهرت الحدث قال ابن أبي الحديد: «أن الخبر بزناه كان شايعاً مستفيضاً بين الناس».

«شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٢، ص ١٦٣».

(١) رسائل الجاحظ: ص ٩٢. الأذكياء: ص ٩٨.

(٢) المسند: ج ٤، ص ٣٦٩. وفي ج ١، ص ١٨٨. أخرج أحاديث نيله من أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ وممن تناول الحديث عن إيمان أبي طالب رضوان الله تعالى عنه العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابة الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[١].

٣ ـ الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة[٢] في كتابه خاتم النبيين، وجاء في نهاية البحث قوله رحمه الله: «ونحن نقول فيما استنبطنا، انه ليس بمشرك قط، لان المشرك من يعبد الأصنام، ويشركها مع الله تعالى، وأفعاله ومواقفه تدل على أنه يرى عبادة الأصنام ويراها أمراً باطلاً.

ولذلك: أميل أن استغفر له أن كنت من أهل هذا المقام، وأرى أنه ليس بكافر أصلاً»[٣].

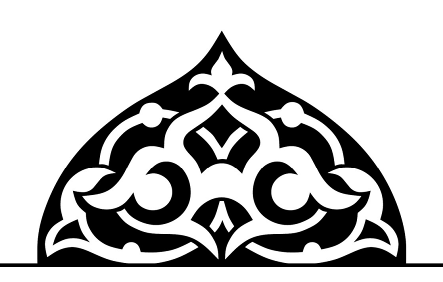
وهذا أقل ما يمكن أن يعتقده المسلم، وهو ينظر بعين العقل والإنصاف إلى تلك الشخصية الكبيرة وشدة ارتباطها بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولو اتبع المسلمون سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحق، وخافوا الله في أنفسهم، ورجعوا إلى حديث الثقلين «متمسكين» بكتاب الله وعترة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، لوجدوا ان كثيراً مما سمعوا أو قرؤوا عن الإسلام لبعيد كل البعد عنه ولأيقنوا لم هم اليوم يتخبطون في سيرهم، تحيط بهم الأخطار، وتحف بهم الأهوال، وقد أصبح حالهم نهباً وتراثهم غصباً.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ج ٣، ص ٢٢٧ ـ ٢٦٠.

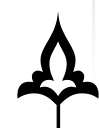
(٢) رئيس قسم الشريعة في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(٣) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: ج ١، ص ٥٣٠ و٥٣٥.



المبحث الثاني

تلويح الحافظ الخركوشي بإسلام أبي طالب عليه السلام وأنه ثالث من أسلم





قبل البدء في ذكر الأدلة والقرائن التي تبين أنّ أبا طالب عليه السلام هو «ثالث من أسلم» نشير إلى الملاحظة الآتية:

«ربما يظن البعض انّ هناك نصاً صريحاً يشير بوضوح إلى هذه المسألة، فنقول: لو كان لدينا نص صريح لما كانت هناك مشكلة أصلاً، ولتمكن كثيرٌ من العلماء والباحثين من الاحتجاج بهذا النص الصريح ولانتهى الأمر، وبخاصة عند طائفة كبيرة من المسلمين.

لكن الأمر هنا يختلف تماماً فلقد عمد أعداء الله إلى صياغة الأمور بشكل محكم ليضلّوا كثيراً من الناس، ويصدوهم عن السبل المؤدية إلى الطريق المستقيم.

ولكن مهما كان العمل محكماً يبقى ضعيفاً لأنه مستمد من كيد الشيطان، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1]، وهو في نفس الوقت منحصر بهم، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2].

وإنّ الله عز وجل غالب على ما يمكرون، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

ومن هنا فأننا سرنا مستعينين بالله وبعترة النبي الهادي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين غير مدخرين جهداً في الوصول إلى هذه الحقيقة، سائلين الله تعالى القبول وله الفضل والمنّة.

رواية الحافظ الخركوشي رحمه الله (١)

اخرج الحافظ أبو سعيد الخركوشي في شرف المصطفى الرواية التالية، قائلاً:

«ان أول من أسلم خديجة فقامت تصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي عليه السلام فرآهما يصليان فدخل معهما الإسلام فقاموا ثلاثتهم يصلون.

---

(١) ترجم له الذهبي بقوله: «الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سعيد، عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم، النيسابوري الواعظ. وخركوش: سكة بنيسابور؛ حدث عن: حامد الرفاء، ويحيى بن منصور، وأبي عمرو بن مطر، وإسماعيل بن نجيد، وطبقتهم. وتفقه بأبي الحسن الماسرجسي، وسمع بدمشق وبغداد ومكة، وجاور وصحب الكبار، ووعظ وصنف، ورزق القبول الزائد، وبعد صيته. له تفسير كبير، وكتاب «دلائل النبوة» وكتاب الزهد.

حدث عنه: الحاكم وهو أكبر منه، والحسن بن محمد الخلال، وعبد العزيز الأزجي وأبو القاسم التنوخي، وأبو القاسم القشيري، وأبو صالح المؤذن، وأبو بكر بن خلف، وخلق ـ كثير ـ.

قال الحاكم: أقول إني لم أر أجمع منه علما وزهداً، وتواضعا، وإرشادا إلى الله وإلى الزهد، زاده الله توفيقاً، وأسعدنا بأيامه وقد سارت مصنفاته ـ في كل مكان ـ. توفي في جمادي الآخرة سنة ٤٠٧هـ وكان ممن وضع له القبول في الأرض، وكان الفقراء في مجلسه كالأمراء وكان يعمل القلانس ويأكل من كسبه، بنى مدرسة وداراً للمرضى، ووقف الأوقاف، وله خزانة كتب موقوفة.

«سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١٧، ص ٢٥٦».

وقال الخطيب البغدادي عنه: «كان ثقةً ورعاً صالحاً». «تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٤٣٢».

وقال الزركلي: من فقهاء الشافعية بنيسابور، من كتبه البشارة والنذارة، وتفسير الأحلام، وسير العباد والزهاد، ودلائل النبوة، وشرف المصطفى ثمانية أجزاء، وغيرها.

«الأعلام للزركلي: ج ٤، ص ١٦٣».

ثم جاء أبو طالب وهم يصلون فقال:

ما هذا الذي أظهرته يا محمد.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**هذا دين الله الذي ارتضاه لنفسه، لا يقبل الله من أنبيائه ورسله غيره، فان دخلت معي فيه وإلاّ فاكتم عَلَيَّ**».

قال أبو طالب لعلي: الاّ ترى إلى محمد ما يقول؟!. قال عليه السلام:

يا أبه انّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لصادق فيما يقول وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

قال أبو طالب: أقيما على ما أنتما عليه فلن ينالكما أحد بسوء، وتتابع المسلمون، وأظهر الله دينه، واعزّ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

والرواية تضمنت عدة مسائل تدل على أنه ثالث من أسلم وهي الآتي ذكرها:

(١) شرف المصطفى للحافظ أبي سعيد عبد الملك النيسابوري الخركوشي، ص ٢٤، والكتاب هو: «**مخطوط**» يرقد في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ويحمل الرقم «١٨٨٧»، رقم المصغر الفيلمي «٤٨٦١»، وقد احتوت الصفحة الأولى من المخطوط على: «وقف الملا عثمان الكردي، تأليف الإمام العالم الواعظ أبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، رواية العالم الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القيشري رحمه الله رواية الإمام العالم ناصح السنة أبي القسم عبد الملك بن معافا التنوخي رحمه الله، رواية الإمام الفقيه أبي الخير احمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني الطالقاني الحاكمي رحمه الله، رواية ولده الصالح العابد الزاهد السالم ابن المناقب محمد بن احمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني، سماع منه لصاحب الكتاب الفقير إلى رحمة الله عمر بن يوسف يحيى بن عمر بن كامل المقدسي السامعي، وبسماع ولديه أي طاهر يوسف وأبي العلى داود. (مكتبة ديوان مستند الشام).

المسألة الأولى: السياق العام للرواية

إنّ سياق الرواية يشير بشكل واضح إلى التسلسل الدقيق لمن أسلم، فقد بدأ الحافظ الخركوشي بعرض الرواية قائلاً:

«إن أول من أسلم خديجة فقامت تصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي فرآهما يصليان فدخل معهما الإسلام فقاموا ثلاثتهم يصلون ثم جاء أبو طالب وهم يصلون».

هذا النسق وهذا السياق الذي تفيده الرواية لا يقبل الشك أنّ الشخص الثالث الذي علم بالأمر هو أبو طالب وان وقت إسلامه عليه السلام هو هذا الوقت وذلك من خلال الحديث الذي دار بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وبينه وبين ولده علي عليه السلام من جهة ثانية، كما سيمر بيانه لاحقاً بعون الله تعالى.

المسألة الثانية: قوله عليه السلام «ما هذا الذي أظهرته»

هذا القول الاستفهامي يدل على ان أبا طالب عليه السلام كان يعلم بنبوة ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم، وان هذه الصلاة هي أحدى مظاهر النبوة فلذا قال له: «ما هذا الذي أظهرته» ولم يقل: «ما هذا الذي فعلته أو تفعله»؟! والفرق بيّنٌ ظاهر في المعنى الدلالي للفظين، إذ الاستفسار عن ظهور هذا الأمر يدل على العلم المسبق به إلا أنّ ظهوره كان يتوقف على أمرٍ معين، أما الاستفسار عن الفعل فيدل على الجهل بعين هذا الفعل. ولعل غاية السؤال كانت لمعرفة نزول الأمر الإلهي المتمثل بنزول جبرئيل عليه السلام وإظهار هذه النبوة. لأنّ الصلاة فعل من أفعال النبوة فلذلك لم يسأله عن عين الفعل وإنما عن الأمر الباعث لهذا الفعل.

ومما يدل عليه:

أولا:

وقوع الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم ودلالتها على أنه المخصوص بالنبوة

أن الآيات الكثيرة التي وقعت ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم كـ«انكفاء الأصنام يومئذ على وجوهها وسقوطها عن أماكنها، وارتجاج إيوان كسرى، وسقوط بعض شرفه، وخمود نار فارس، ولم تخمد قبلها، وغيض بحيرة ساوة، وما رآه النجاشي ملك الحبشة، وظهور النور معه أضاءت له قصور الشام حين ولد[1]، ودنو النجوم منهم، وغير ذلك»، مما اختزنته كتب اليهود والنصارى من أحاديث عن السيد المسيح عليه السلام ومن سبقه من المرسلين والأنبياء عليهم السلام كلها لتجمع على أن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم قد ولد في هذه الليلة. التي يقول فيها الشقنيطي: «وقد كان لمولده من الأحداث الكونية ما ألفت أنظار العالم كله»[2].

فإذا كانت الرهبان، والكهنة، والمنجمون، والعالم كله، قد علموا وأيقنوا بولادته صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بجده عبد المطلب وعمه أبي طالب رضوان الله عليهما.

---

(١) لمعرفة بقية الآيات، أنظر: امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٤، ص ٦٠؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ج ١، ص ٣٦٦؛ أضواء البيان للشقنيطي: ج ٨، ص ٣٨٣؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٢١٢.

(٢) أضواء البيان للشقنيطي: ج ٨، ص ٣٨٣.

ثانيا: ظهور البركة معه صلى الله عليه وآله وسلم وحلولها أينما نزل

من الدلائل التي ظهرت لأبي طالب عليه السلام في ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم هي ظهور البركة معه، وحلولها أينما نزل، هذه الآية الربانية كانت ترافق النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته ولاسيما حينما أرضعته حليمة السعدية[١].

ثالثا: ظهور آيات منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد العاشرة من عمره بقليل

روى ابن كثير قائلاً: «فلما كان له بضع عشرة سنة خرج معه الزبير إلى اليمن. فذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة منها:

١ ـ أن فحلا من الإبل قد قطع بعض الطريق في واد ممرهم عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برك حتى حك بكلكله[٢] الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام[٣].

٢ ـ ومنها انه خاض بهم سيلاً عرما فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوه»[٤].

رابعا: ظهور الآيات منه صلى الله عليه وآله وسلم لجده عبد المطلب عليه السلام

ألف ــ «روي أن قوماً من بني مدلج قالوا لعبد المطلب: احتفظ به ــ أي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم الذي في المقام منه ــ أي

---

(١) البداية والنهاية: ج ٢، ص ٣٣٤.

(٢) الكلكل: الصدر من كل شيء، وقيل هو ما بين الترقوتين.
«لسان العرب لابن منظور: فصل الكاف، ج ١١، ص ٥٩٧».

(٣) السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٢٣٢.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ٣٣٨.

انهم لم يروا قدماً أشبه بالقدم التي في مقام إبراهيم عليه السلام عند بيت الله الحرام بمكة من قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

فقال عبدالمطلب لأبي طالب عليه السلام: اسمع ما يقول هؤلاء! فكان أبو طالب يحتفظ به»[(١)].

وفي آثار أقدام نبي الله إبراهيم عليه السلام المغروسة في الحجر حينما بنى بيت الله تعالى يقول أبو طالب عليه السلام في قصيدته اللامية المشهورة والتي يعلن فيها تمسكه بعقيدته ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنهم يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء وأبيض عضب من تراث المقاول
واحضرت عند البيت رهطي وامسكت من أثوابه بالوصائل

إلى أن يقول:

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ومن ملحق بالدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه[(٢)] وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت، حق البيت، من بطن وبالله أن الله ليس بغافل

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ١، ص ١١٨؛ امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٤، ص ٩٧؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ٨٥.

(٢) هنا يقسم أبو طالب بمن خلق الأبراج في السماء، وهو الله تعالى.

وبالحجر المسود إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم في الصخر ... على قدميه حافياً غير ناعل[(١)]

باء ـ استسقاء عبدالمطلب عليه السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن البراهين والآيات التي ظهرت لقريش عامة ولآل عبدالمطلب خاصة هي «استسقاء عبدالمطلب عليه السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ولاشتهار هذه الآية الربانية بين أهل مكة وزوارها من الحجاج والتجار كان أبو طالب عليه السلام يذكرهم بها حينما اشتد الحال على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طغاة قريش لعل البعض منهم يرتد عن غيه وطغيانه.

وأما الحادثة فقد رواها عدد كثير من الرواة وأخرجها بعض الحفاظ في مصنفاتهم، كالطبراني، والهيثمي، والزمخشري، وابن أبي الحديد المعتزلي، والزيلعي وابن عساكر، وغيرهم... .

«فعن رقية بنت أبي صيفي بن هاشم وكانت أمة لدى عبدالمطلب، قالت: تتابع على قريش سنون أقلحت[(٢)] وأملحت الضرع وأدقت العظم فبينا أنا راقدة[(٣)] اللهم أو مهمومة، إذا هاتف يصرخ بصوت صحل[(٤)]، يقول: يا معشر قريش إنّ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ١٧٧؛ السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٧٨؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٤٨٧؛ فتح الباري لابن حجر: ج ٨، ص ١٢٩.

(٢) أقلحت: من قحل قحولا وقحل قحلاً إذا يبس.

«الفايق، الزمخشري، فصل القاف مع الحاء: ج ٣، ص ٦٧».

(٣) الرقود: النوم بالليل والنهار المستحكم. «تاج العروس للزبيدي: ج ٢، ص ٧٣».

(٤) الصحل: الصوت الذي يكون فيه بحوحة. «الصحاح للجوهري: ج ٢، ص ٧٣».

هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه وهذا إبان نجومه[١] فحيهلا بالحياء والخصب ألا فانظروا إلى رجلٍ منكم وسيطٍ عظاما جساماً أبيض بضياء أوطف[٢] الأهداب سهل الخدين أشم العرنين[٣] له فخر يكظم عليه وسنة يهدي إليها فليخلص هو وولده[٤] وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا[٥] من الماء وليمسوا من الطيب وليستلموا الركن ثم ليرقوا أبا قبيس[٦] ثم ليدع الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم ما شئتم.

فأصبحت علم الله مذعورة، وأقشعر جلدي ووله عقلي؛ واقتصصت رؤياي ونمت في شعاب مكة، فوالحرمة والحرم ما بقي بها أبطحي إلا قال: هذا شيبة الحمد، وتناهت إليه رجالات قريش، وهبط إليه من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا الركن ثم أرتقوا أبا قبيس واصطفوا حوله ما يبلغ سعيهم مهلة حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبدالمطلب فاعتضد ابن ابنه محمداً صلى الله عليه

---

(١) إبان نجومه: أي وقت ظهوره. «الفايق: ج ٣، ص ٦٧».

(٢) أوطف الأهداب: أي طويلها.

«الفايق للزمخشري: ج ٣، ص ٦٧».

(٣) اشم العرنين: هو أول الأنف حيث يكون في الشمم، يقال: شم العرانين.

«الصحاح، الجوهري: ج ٦، ص ٢١٦».

(٤) فليخلص: أي فليتميز هو وولده من الناس.

«الفايق، الزمخشري: ج ٣، ص ٦٨».

(٥) فليشنوا من الماء: شن الماء على وجهه وعلى التراب: فرقه عليه وصبه صبا.

«تاج العروس، الزبيدي: ج ١٨، ص ٣٢٧». والمراد منه: الاغتسال.

(٦) أبا قبيس: جبل من جبال مكة.

وآله وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب فرفع يديه وقال:

«اللهم ساد الخلة[١] وكاشف الكربة، أنت مُعَلِّمٌ غير مُعَلَّمٍ، ومسؤول غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذارت حرمك، يشكون إليك سنتهم أذهبت الخف والظلف اللهم فامطر علينا غيثا مغدقا مريعاً».

فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بما فيها بمائها واكتظ الوادي بثجيجة[٢] فسمعت شيخان قريش وجلتها، عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء، أي: عاش بك أهل البطحاء، وفي ذلك تقول رقية بنت أبي صيفي:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا وأجلوّذ المطر
فجاء بالماء جوني له سبل ... سحا فعاشت به الأنعام والشجر
متا مِنَ الله بالميمون طائره ... وخير من بُشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يستسقي الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر[٣]

(١) الخلة، بالفتح: الحاجة والفقر: أي جابرها.
«النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج ٢، ص ٧٣».

(٢) الثجج: وسط الشيء ومعظمه وأعلاه. وثجج البحر: علو وسطه إذا تلاقت أمواجه.
«تاج العروس، الزبيدي: ج ٣، ص ٦٧».

(٣) الأحاديث الأطوال للطبراني: ص ٦٩؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٤، ص ٢٦٠؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٢، ص ٢١٥؛ كتاب الدعاء للطبراني: ص ٦٠٦؛ الفايق في غريب الحديث للزمخشري: ج ٣، ص ٦٧؛ شرح نهج البلاغة: ج ٧، ص ٢٧٢؛ تخريج الأحاديث للزيلعي: ج ٣، ص ٢٣٤؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٧، ص ١٤٨؛ أسد الغابة: ج ٥، ص ٤٥٥؛ كتاب المنمق لابن حبيب البغدادي: ص ١٤٦؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ←

جيم ـ «وقال عبدالمطلب لأم أيمن ـ وكانت تحضنه ـ: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة»[1].

دال ـ «وكان عبدالمطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول: «عليّ بابني فيؤتى به إليه، فلما حضرته الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحياطته»[2].

خامسا: الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان في كفالة عمه أبي طالب عليه السلام

كان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً لا يحبه ولده، «وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج، فيخرج معه؛ وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط»[3].

أما الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وآله وسلم لعمه فهي كالآتي:

أ ـ «كان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن

ص١٣؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص ٤٧؛ السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٨٢.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١١٨؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ٨٥؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٥٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١١٨؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٢٤١؛ البحار: ج ١٥، ص ٤٠٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ٢٤٤؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٣، ص ٨٦.

يغديهم، قال: كما أنتم حتى يأتي ولدي.

فيأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وان لم يكن منهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك»[١].

ب ـ «كان بنو أبي طالب يصبحون رمصا[٢] عمصا[٣] ويصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كحيلاً دهيناً»[٤].

(١) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٢٠؛ البحار للمجلسي: ج ١٥، ص ٤٠٧؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) الرمص بالتحريك: وسخ يجتمع في الموق، فإن سال فهو غمص، وإن جمد فهو رمص. وقد رمصت عينه بالكسر والرجل أرمص.

«الصحاح للجوهري: ج ٣، ص ١٠٤٢. معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج ٢، ص ٤٣٩».

(٣) العمص ضرب من الطعام، وعمصه: صنعه، وهي كلمة على أفواه العامة وليست بدوية يريدون بها الخاميز، وهو: ان يشرح اللحم رقيقاً ويؤكل غير مطبوخ ولا مشوي.

«لسان العرب لابن منظور: ج ٧، ص ٥٨».

وقال الزبيدي: «أهمله الجوهري؛ وقال ابن الاعرابي: هو المولع بأكل الحامض.هكذا نص العباب، وفي التكملة: بأكل العامص. وهو نص ابن الاعرابي. قال: وهو الهلام. وقال ابن عباد: يوم عماص كعماس، بالسين، أي شديد. وقال ابن دريد: العمص ذكره الخليل فزعم أنه «ضرب من الطعام» ولا أقف على حقيقته. «انتهى قوله».

أقول: الظاهر أنه من الحالات المرضية التي تصيب العين لترادفه مع الرمص، أي: أن جفون العين تصبح كأنها شرائح من اللحم الحمراء الرقيقة عند الصباح. بمعنى آخر: ان أولاد أبي طالب يصبحون وعيونهم قد تجمع من حولها وسخ العين وبدت جفونهم حمراء كأنها شرائح لحم، بينما يصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كحيل العين.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ج ١، ص ٣٦٧؛ عيون الأثر، ابن سيد ←

ج ـ كان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم ـ التي يأكلون فيها ـ أول البكرة ـ أي الصباح الباكر ـ فيجلسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده فلا ينتهب معهم. فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة»[1].

د ـ قال ابن إسحاق: «إنّ رجلاً من بني لهب كان عائفاً[2] فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم ـ أي في صبيانهم وغلمانهم ـ.

قال: فأتى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلام مع من يأتيه، قال: فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم شغله عنه شيء. فلما فرغ قال: الغلام، علي به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيته آنفا فوالله ليكونن له شأن. قال: وانطلق به أبو طالب»[3].

هـ ـ ظهور الآيات منه حين خروجه مع عمه إلى الشام.

روى المؤرخون ان الركب الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما نزلوا عند صومعة الراهب بحيرى صنع لهم طعاماً كثيراً، وكان قد رآى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الركب حتى أقبل وغمامة تظلله

الناس: ج ١، ص ٦١؛ الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٢٠.

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ٨٤؛ السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٨٩؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) العيافة: هي ان يكون الرجل صادق الحدس.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ١١٦؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ٣٤٥.

من بين القوم.

ثـم أقبلـوا فنزلـوا في ظـل شـجرة قريبـاً منـه، فنظـر إلى الغمامـة حـين أظلـت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى استظل تحتها»[1].

فمـا كـان منه إلاّ أن يحذر عمـه أبـا طالـب مـن اليهـود، قـائلاً: احـذر عليـه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شرا، فانه كـائن لابـن أخيـك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده، فخرج به عمـه أبـو طالـب سريعاً حتى أقدمه مكة»[2].

ناهيك عن أبيات أبي طالب المشهورة في بيان الاستسقاء بوجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول عليه السلام:

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلّمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وما ترك قوم لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار بين بكر بن وائل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٣٢؛ سيرة ابن إسحاق: ج ٢، ص ٥٤؛ أعلام الورى للطبرسي: ج ١، ص ٦٥؛ عيون الأثر، ابن سيد الناس: ج ١، ص ٦٢.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٢؛ البداية والنهاية: ج ٢، ص ٣٤٦؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٢، ص ٣٧؛ السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ١١٨.

يلوذ به الهلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل(١)

وتمر الأيام سريعاً فيأتي المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشكون إليه ما أصابهم من قحطٍ وجدب بسبب حبس السماء لخيرها ويطلبون منه ان يستقي لهم، فلما دعا الله أن ينزل عليهم الغيث انهمرت السماء بالمطر كأنها أفواه القرب، فقدم أهل الأسافل يصيحون: الغرق، الغرق، فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال:

«لله أبو طالب لو كان حاضرا لقرت عيناه، أما منكم أحد ينشدني شعره»؟.

فقام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فقال:

«لعلك تريد يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل»(٢)

و ـ يقينه عليه السلام بأن محمداً هو المصطفى بالفضائل والمحاسن قبل مبعثه.

فيقول:

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ   فعبد مناف سرها وصميمها

فان حصلت أشراف عبد منافها   ففي هاشم أشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فإن محمداً   هو المصطفى من سرها وكريمها

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد: ص ٣٠٤؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج ٢، ص ٤١؛ التمهيد لابن عبدالبر: ج ٩، ص ٢٨٩.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر: ج ٢٢، ص ٦٥؛ امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٥، ص ١٢٥؛ بدائع الصانع لأبي بكر الكاشاني: ج ١، ص ٢٨٣.

تداعت قريش غثها[١] وسمينها — علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظلامة — إذا ما شنوا صعر الخدود نقيمها

ونحمي جماها كل يوم كريهة — ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الغواء وإنما — بأكنافنا تندى وتنمى أرومها[٢][٣]

فكل هذه القرائن والدلائل، ـ بل هي معاجز وآيات ـ كانت ترافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حله وترحاله، وهي ظاهرة، بينة، عند أبي طالب عليه السلام وهو مؤمن إيماناً قاطعاً بأنه نبي هذه الأمة، ولقد كان يصرح فيما بعد بذلك قائلاً:

ألم تعلموا أنا وجدنا — محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب[٤]

إلا أنه لا يعلم الوقت الذي سيبعث فيه، فلما جاء ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وولده علياً يصلون ابتدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسؤال قائلاً: «ما هذا الذي أظهرته»؟.

ولذلك أجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«هذا دين الله الذي ارتضاه لنفسه، لا يقبل الله من أنبيائه ورسله غيره».

---

(١) الغث: اللحم الضعيف، هنا استعارة لضعف النسب.

(٢) الأروم: الأصول، جمع الأرومة.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ٣١٧.

(٤) الكافي للكليني رحمه الله: ج ١، ص ٤٤٩؛ سيرة ابن إسحاق: ج ٢، ص ١٣٨؛ السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ١، ص ٢٣٥.

وهنا، في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تظهر عدة أمور منها:

١ ـ إنّ هذا الدين الذي ظهر هو دين الله عز وجل، وأنه يمتاز على بقية الأديان والرسالات السابقة التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله بميزتين:

الميزة الأولى

هي «**أن الله عز وجل ارتضاه لنفسه**» وهو ما نص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١).

الميزة الثانية

هي أنّ هذا الدين، دين الأنبياء والرسل عليهم السلام أجمعين وأنّ الله تعالى لا يقبل منهم أن يدينوا بدين غيره، وهو ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٢).

٢ ـ إنّ جميع الأديان السابقة كانت ممهدة لهذا الدين.

٣ ـ إنّ جميع الأنبياء والمرسلين يأتون يوم القيامة والحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم شهيد عليهم وعلى ما بلغوا به أقوامهم، قال سبحانه:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(٣).

المسألة الثالثة: «عرض الدخول في هذا الدين»

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

بعد أن أجاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال أبي طالب عليه السلام مبيناً له منزلة هذا الدين الذي جاء به، عرض عليه أن ينظم إلى هذا الركب ويدين بهذا الدين الذي ارتضاه الله لنفسه ولأنبيائه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإن دخلت معي فيه**»؟.

هذا العرض لم يكن عرضاً عادياً بل هو عرض من نوعٍ خاص يكشف عن عظم شخصية أبي طالب عند نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلذلك نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قدّم مقدمة قبل أن يعرض على عمه هذا العرض، وهذه المقدمة هي: التعريف بمنزلة هذا الدين عند الله عز وجل.

وعليه، فان الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كانوا يقومون بمسؤولية التبليغ لهذا الدين، وانهم كانوا يعملون على نصرة النبي وشريعته؛ والشواهد القرآنية في ذلك كثيرة منها:

١ . ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

٢ . ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٣٠ و١٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

٣ . ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

ومن هنا جاء عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي طالب عليه السلام يحمل معه هذه المقدمة التعريفية بمنزلة هذا الدين وأنّ لك منزلة خاصة إنْ سلكت منهج أولئك الأنبياء عليهم السلام في نصرة هذا الدين. وإلا كان يمكن أن يقول له «هذا دين الله» دون الإشارة إلى دور الأنبياء منه وعلاقتهم به.

ولذا نجد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتبعها بكلمة «**معي**» ليبين المنزلة التي سينالها أبو طالب عليه السلام عند دخوله هذا الدين.

المسألة الرابعة:

«ما المراد بالكتمان الذي طلبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أبي طالب عليه السلام»؟

بعد أن قدّم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم العرض على أبي طالب بالدخول معه في قيام هذا الدين وخيّره بين القبول بهذا العرض أو الرفض انطلاقاً من الحرية العقائدية التي يسنها الإسلام، طلب منه أن يكتم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإلاّ فاكتم علي**» فعلى أي شيء يكتم؟!.

والجواب على هذا التساؤل يكون من ثلاثة:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

الوجه الأول: «التكتم على العرض»

أي: فاكتم علي العرض الذي عرضته عليك، وإنني قد خصصتك بمنزلة لم أخص بها أحداً من المسلمين، وهو قوله:

«**فان دخلت معي فيه، وإلاّ فاكتم علي**».

أي: إذا لم تقبل به فاكتم عليّ ما قلته لك وعرضته عليك.

ومما يدل عليه:

انتهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفس هذا النهج حينما كان يعرض أمره على الناس، فكما هو واضح لمن تتبع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ انه لما ذهب إلى ثقيف وعرض عليهم الدخول إلى الإسلام، ولم يقبلوا منه، طلب منهم أن يكتموا أمر مقدمه عليهم كي لا يشمت به مشركو قريش وغيرهم.

قال الحافظ البغوي، وابن الأثير، والطبرسي: «لما اشتد عليه الأمر بعد موت أبي طالب ـ عليه السلام ـ خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثقيف يلتمس منهم النصر، فلما انتهى إليهم عمد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذ سادة ثقيف وهم أخوة ثلاثة، عبد ياليل وحبيب، ومسعود بنو عمرو بن عمير[1]، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح؛ فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرتهم للإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه. فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك.

وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك. وقال الثالث: والله ما أكلمك

---

(١) إعلام الورى للطبرسي: ص ٧١، ط دار الحجة.

كلمة أبداً، لأن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام؛ ولأن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف؛ وقال لهم:

«**إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه عليّ**».

وكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ قومه فيذئلهم عليه ذلك، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس»[1].

«قال موسى بن عقبة: قعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشي رجموه وهم يضحكون»[2].

حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ رفع يديه يدعو ربه ـ فقال:

«**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهّمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب**

---

(١) تفسير البغوي: ج ٤، ص ١٧٢. تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٨٠. البداية والنهاية لابن كثير: ج٣، ص ١٦٦.

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج ٩، ص ١٥٤. السيرة النبوية لابن كثير: ج ٢، ص ١٥١. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ٢٨٣.

فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١].

وعليه: كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يطلب من البعض أن يكتموا عليه العرض الذي يعرضه عليهم لاسيما إذا كان هذا العرض يتعلق بأمر نصرته وعونه والدفاع عنه كما دلت عليه الحادثة، التي ملئت بالألم والأسى لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى حتى الإدماء.

ولذا: فقد طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عمه أن يكتم على العرض الذي عرضه عليه فيما لو دخل إلى هذا الدين وقام بنصرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثاني: أن يكون المراد من «فاكتم عليّ» هو «فاكتم عليه»

أي: ان تكتم على دينك فلا تظهره لأحد، فيكون الأصل في «عليّ» هو «عليه» فحذفت الهاء تحريفاً إما بقصد من الناسخ أو الراوي لأنه وجدها لا تتطابق مع البخاري في حديث الضحضاح فكتبها «عليّ».

واما إن التصرف في الكلمة كان من قبل الحافظ أبي سعيد الخركوشي لأنه وجدها خلاف المشهور الذي يصف الدعوة بأنها كانت سرية في بداية انطلاقها،

---

(١) تفسير البغوي: ج ٤، ص ١٧٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ٩٧. تفسير الثعلبي: ج ٩، ص ١٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ٢٨٣. تفسير القرطبي: ج ١٦، ص ٢١١. تفسير ابن كثير: ج ٤، ص ١٧٦.

فجعلها مع ما هو مشهور.

وعلى الرغم من انني لم أعثر على نسخة ثانية لمخطوط شرف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أو أن أجد هذه الرواية في مصدر آخر. إلاّ أن السياق العام الذي احتوته الروايات التي تحدثت عن السيرة النبوية وما اشتهر عن كونها كانت سرية لترجح ان قوله: «**فاكتم عليّ**» هي في الأصل: «فاكتم عليه». فحرفت أو صحفت الكلمة كي تتطابق مع ما رواه البخاري لحديث الضحضاح.

ومما يدل عليه: إنّ كثيراً من المخطوطات قد تعرضت لوقوع التحريف والتصحيف؛ والتصحيف هو: «صحف الكلمة: كتبها أو قرأها على غير صحتها لاشتباه في الحروف»[1].

وقيل: ان الكلمة المصحّفة، هي: الكلمة الموضوعة خطأ نتيجة لإهمال الناسخ أو الطابع أو جهل كل منهما وغالباً ــ أو عند الأكثر ــ لا يفرق بين التصحيف والتحريف من حيث المعنى فكل خطأ في كتابة أو قراءة الكلمة هو تصحيف ويقال له أيضاً تحريف»[2].

ومن الذين لا يفرقون بين التصحيف والتحريف المتنبي حيث يقول:

جرى الخلف إلا فيك أنك واحد ... وانك ليث والملوك ذئاب

وأنك إن قويست صحّف قارئ ... ذئاباً ولم يخطئ فقال ذباب[3]

---

(١) القاموس المحيط: مادة صحف.

(٢) أصول تحقيق التراث لعبد الهادي الفضلي: ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) أصول تحقيق التراث لعبد الهادي الفضلي: ص ١٩١.

ولذا، فان اشد ما يجابه الباحث هو «تشويهات الناسخين وتحريفاتهم مما قد يخلق مشكلات ليست باليسيرة»[1].

ومن الشواهد على حصول التحريف في بعض المخطوطات:

أولاً: كتاب الناسخ والمنسوخ للعتائقي، تحقيق عبدالهادي الفضلي؛ حيث يقول: «والنسخة بخط المؤلف، ويبدو عليها انها كتبت على عجل لكثرة ما فيها من إهمال الإعجام.

ـ النص ـ: «فقد روي عن أمير المؤمنين (علي) عليه السلام: إنه دخل مسجد الكوفة فرأى ابن دأب صاحب أبي موسى الأشعري وقد تحلق الناس عليه يسألونه فقال له:

أتعرف الناسخ من المنسوخ؟.

قال: لا. قال:

هلكت وأهلكت.

وأخذ أذنه فقبلها، وقال:

لا تقضِ في مسجدنا بعد».

التصويب:

«فقبلها»، هكذا في الأصل وهو تصحيف، وصوابه «ففتلها» والتعليل: لأنها وردت في كتب أخرى مماثلة بالفاء والتاء ولأن جو الموقف وسياق التعبير يقتضيان ذلك.

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام لعبد العزيز الدوري: ص ٢٧.

«لا تقض»، هكذا في الأصل وهو تصحيف، وصوابه «لا تقص» بالصاد المهملة أو «لا تقصن» بالصاد والنون.

التعليل:

لأن ابن دأب عُرِفَ تاريخياً بأنه من قالت الحكايات والأساطير، ولم يرد له ذكر في تراجم القضاة، ولورود الكلمة بالصاد في مصادر أخرى، كما أن جو الموقف وسياق التعبير يقتضيان ذلك[١].

ثانياً: لم يقتصر وقوع التحريف في المخطوط وإنما في المطبوع أيضاً، ففي طبعة لكتاب مروج الذهب للمسعودي في كون المنصور العباسي: «أنه أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب، وزال بأسها وذهبت مراتبها»[٢].

بينما يرد القسم الأخير من هذا النص في الطبعة الأوربية: «سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها».

فالنص الأول يبيد العرب ويذكر سقوطها وزوال بأسها، في حين أن النص الثاني يشير إلى ذهاب القيادة والرئاسة منها، والفرق شاسع بين الاثنين[٣].

ولذلك: فان من المرجح أن تكون عبارة «فاكتم علي» هي في الأصل: «فاكتم عليه» لأن جو الحدث وسياق الرواية يدفع إلى هذا الاحتمال.

---

(١) «أصول التحقيق التراث لعبد الهادي الفضلي: ص ١٩٤ ـ ١٩٥».

(٢) وجاء في هامش الصفحة مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: ط ٣ (القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٥٨م) ج ٢، ص ٢٠٤.

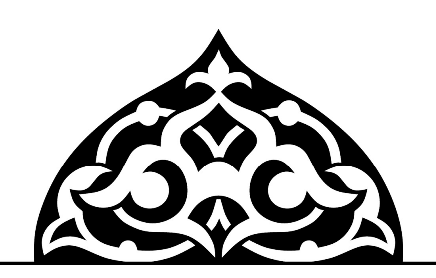
(٣) المصدر السابق.

الوجه الثالث: «التكتم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم»

وهذا ما اشتهر عن سير البعثة النبوية إذ أنها كانت في بداية انطلاقها مخفية غير معلنة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو إلى هذا الدين سراً بضع سنين.

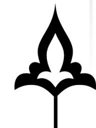
فيكون المعنى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإن دخلت معي فيه وإلا فاكتم عليّ**». أي: فإن لم تدخل في هذا الدين ولم تأخذ بالعرض الذي عرضته عليك، فاكتم عليّ أمري ولا تخبر به أحداً.

وأما أصح الوجوه فهو الوجه الأول، وذلك من خلال المبحث الآتي.



المبحث الثالث

سرية الدعوة النبوية بين حقيقة الحدث ووهم الرواة





إنّ الحديث عن مراحل الدعوة إلى الإسلام، أي: منذ البعثة والى وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، هو حديث صعب شائك بسبب ما وضعته أيدي المنافقين من تغيير كثير من الصور عن حقيقتها وواقعها، فكانت الأحداث فيها تصاغ كواقع للحقيقة؛ في حين أنّ حقيقة الحدث تختلف جذرياً عما صوره دعاة السياسة وأرباب المصالح.

ومن بين هذه الأحداث هو: «سرية الدعوة النبوية» خلال السنوات الأولى لانطلاقها.

فالصورة التي تناقلتها ألسُن الرواة ودونتها أقلام الكُتّاب هي: «أن الدعوة إلى الإسلام كانت سرية لمدة ثلاث سنوات، أو كما يسميها البعض بـ«الدعوة سراً»[1]، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخفي هذه الدعوة، وان الذين استجابوا لهذه الدعوة كانوا يتسترون ويخفون إسلامهم ويتخذون من شعاب مكة محلاً لتعبدهم وملاذاً لمتنفسهم الإيماني.

(١) فقه السيرة للبوطي: ص ١٠٥، ط دار الفكر.

ومن جهة أخرى كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتخذ أحد الدور مقراً لهذه الحركة الجديدة في مكة، هذا المقر هو «دار الأرقم بن أبي الأرقم» الذي من خلاله كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يلتقي بالمسلمين ويرى احتياجاتهم ويوجههم، وكان ينتظر أن يكتمل له عدد معين وهو أربعون مسلماً[1] ليعلن دعوته. فلما تحقق العدد في هذه المدة من السنين أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة إلى الإسلام بعد أن هبط عليه الوحي بقوله تعالى:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[2].

فانطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلن عن أمر النبوة ويدعو إلى التوحيد مبتدِئاً بعشيرته الأقربين امتثالاً لأمر رب العالمين.

والنتيجة:

يجد الباحث صورةً متكاملة الحلقات أشبه ما تكون بتنظيم حركي سياسي يحمل آيدلوجية معينة على أنه واقع لحقيقة اسمها: «سرية الدعوة».

بينما حقيقة الحدث تختلف جذرياً عن الصورة التي رسمتها أيدٍ مبرمجة حسب أغراض ومصالح مختلفة.

فالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن خلال السنوات الثلاث الأولى من البعثة يسير بشكل سري حسب الاصطلاح الحركي السياسي، ولم يكن هناك

---

(١) كشف الخفاء للعجلوني: ج ١، ص ١٨٤؛ وجاء فيه: «أسلم عمر بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم وبعد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء».

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

مقراً لهذا التنظيم، وان ما يدعى بدار الأرقم هو من نسج خيال أصحاب المصالح والأغراض التعصبية، كان القصد منها الحصول على أهداف معينة وهي كالآتي:

الهدف الأول

إدخال أسماء كثيرة في لائحة الدعوة الأولى إلى الإسلام أي «الدعوة السرية» والتي سعى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يؤدي إلى فقدان الخصوصية الخاصة لهؤلاء الثلاثة الذين اقتصر عليهم انتقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الإيمان به.

الهدف الثاني

تسجيل موقف لبعض الشخصيات الإسلامية وعلى رأسها أبو بكر الذي ينسب له دوران أساسان خلال هذه الفترة السرية، وهما:

١ ـ انه جاء بأبرز رجالات الصحابة، وهم الستة أصحاب الشورى الذين نصبهم عمر بن الخطاب قبل موته فقد كان أبو بكر هو الذي جلبهم إلى الإسلام.

٢ ـ إنّ أبا بكر هو الرجل الوحيد الذي أعلن إسلامه بين الذين أسلموا خلال «سرية الدعوة» ـ وهم أربعون نفراً ـ، بينما جميع هؤلاء بما فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتسترون ويخفون إسلامهم[1]. ولا اعلم لماذا شذ أبو بكر عن هذا الركب الصالح وأظهر إسلامه؟!.

ولا أعلم لماذا يعصي أبو بكر أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون جميع هؤلاء الذين أسلموا ويعلن إسلامه وبخاصة أن الالتزام بأمر رسول الله صلى

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة النبوية: ص ١٣٦.

الله عليه وآله وسلم في هذه الفترة الحرجة مهم جداً لأن سلامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونجاته وكذلك جميع المؤمنين كانت تتوقف على سرية الانتساب والدخول في هذا الدين؟! ولأجل هذا الغرض كانت هذه الفترة تسمى بالسرية اما أن يخالف أبو بكر هذا كله ويقوم بإعلان إسلامه فهو أمر مجهول لا يعلمه إلا الذين نسبوا هذا العيب الشنيع لأبي بكر، فهم الوحيدون الذين يعلمون لماذا أظهر إسلامه.

الهدف الثالث

إعطاء حصة كبيرة من الأدوار المهمة لبعض الشخصيات التي دخلت إلى الإسلام خلال «سرية الدعوة» لأجل التعتيم على دور أبي طالب وخديجة والإمام علي عليهم السلام.

الهدف الرابع

وصف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كان يسير خلال هذه السنوات الثلاث بشكل مضطرب يتملّكه الخوف والحذر يلتمس شعاب مكة وجبالها لكي يتعبد فلا يشعر به أحد من المشركين.

بينما يوصف أبو بكر بأنه الوحيد الذي لا يخشى أحداً فلذا كان يجهر بإسلامه ويعلن ذلك أمام قريش؟! في حين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي بن أبي طالب يتخفيان في شعاب مكة وجبالها، كما يقول الذهبي الذي بيّن العلة في ذلك، وهي: «ان أبا بكر أول من أظهر الإسلام وان علياً كان يكتم الإسلام فرقاً من أبيه»[1].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة النبوية: ص ١٣٦.

وهو تعليل لا يستساغ ويكشف عن التعصب الأعمى الذي لا يستند إلى حقيقة علمية مستمدة من الأدلة العقلية والنقلية.

إذ كيف يُعقل أنْ يحارب أبو طالب عليه السلام ولده في حال إسلامه وهو الذي وقف بوجه قريش يذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويؤازره ويسدده ويشد من عزمه.

الهدف الخامس

أن يكون أحد أهداف نظرية سرية الدعوة اتهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشك في نفسه (والعياذ بالله)، وهذا ما صوره أحد الكتاب المعاصرين في وصفه حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه الفترة ومظهراً للوجه الفقهي في سرية الدعوة بانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مطمئناً من أنه نبي مرسل وانه كان في دائرة الشك فلذا احتاج إلى ثلاث سنوات كي يقطع الشك في نفسه ويطمئن ويوقن بأنه نبي وان ما يأتيه هو الوحي لأن هذا من مسؤولياته إذا نفسه أولاً.

وهذا نص قوله: «فأدنى درجة في المسؤولية هي مسؤولية الشخص عن نفسه، ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحي تلك المدة الطويلة التي رأيناها، أي: ريثما يطمئن محمد إلى أنه نبي مرسل، وأن ما ينزل عليه انما هو وحي من الله عز وجل، فيؤمن هو بنفسه أولاً ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه من مبادئ ونظم وأحكام»[1].

---

(١) فقه السيرة لمحمد سعيد رمضان البوطي: ص ١١٣، فصل الجهر بالدعوة، ط دار الفكر المعاصر (بيروت ـ دمشق) الطبعة العاشرة لسنة (١٤١١ هـ ـ ١٩٩٢ م).

ونحن نسأل هنا:

١ ـ إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير مطمئن من انه نبي مرسل كما يدعي الكاتب، فكيف له أن يدعو غيره إلى هذا الدين خلال هذه الفترة التي وصفها بقوله «الدعوة سراً» وكيف سيدعو غيره إلى الإيمان وهو كما يقول الكاتب: «فيؤمن هو بنفسه أولاً ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه»؟!.

٢ ـ إذا كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يسمع ويرى الوحي خلال مدة طويلة وهو كما تقول «غير مطمئن» فالذي آمن ولم ير ويسمع يكون حسب وصفك أعظم إيماناً ـ والعياذ بالله ـ.

بمعنى آخر: قد جعلت من آمن بالله خلال هذه الفترة التي سميتها «بالدعوة سراً» أصدق إيماناً وأثبت يقيناً لأنهم آمنوا ولم يروا ويسمعوا الوحي كما هو حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ـ وكيف يحصل الإيمان والاطمئنان للأجيال التي دخلت الإسلام دون أن ترى نبي الإسلام؟ فضلاً عن الملائكة أو الوحي؟. فحسب هذا القائل قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(١).

وأي أذى لله ورسوله أعظم من جعل سيد الأنبياء والمرسلين شاكاً والعياذ بالله في نبوته خلال مدة طويلة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

وعليه: فليس هناك ما يسمى «بالدعوة سراً» أو «الفترة السرية» للدعوة وإنما هي الفترة الانتقائية.

وبمعنى أدق:

إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان خلال السنين الأولى ينتقي من الناس من يجد فيه الأهلية لتحمل مسؤولية الدعوة والتبليغ فيدعوه إلى دين الإسلام فكانوا ثلاث أنفس وهم: «علي بن أبي طالب فهو أول من اسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أولكم واردا على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب**»[1].

والنفس الثانية: هي الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام.

والنفس الثالثة: هو شيخ الأبطح، وحامي النبوة، وكافل الرسالة، أبو طالب عليه السلام.

ثم التحق بهم الصحابي المنتجب «أبو ذر الغفاري» الموصوف بأنه صاحب أصدق ذي لهجة»[2]، والظاهر أن التحاقه كان في آخر السنة الثالثة من البعثة أو الرابعة من البعثة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص ١٣٦؛ كتاب الأوائل للطبراني: ص ٦٦؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١٠٩؛ التمهيد لابن عبد البر: ج ٢، ص ٣٠٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤، ص ١١٧؛ الإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي: ص ١٢٧.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ج ٢، ص ١٦٣؛ سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٣٤؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٥٢٦.

فإذن:

لم تكن هناك دعوة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه السنوات الأولى لاعتناق الإسلام إلا لهؤلاء «علي وخديجة وأبي طالب» عليهم السلام. وان جميع الذين دخلوا الإسلام انما كان دخولهم لهذا الدين بعد نزول الأمر الإلهي بالمضي في إظهار النبوة والدعوة إلى الإيمان بها.

فقال عز وجل:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾.

فهذه حقيقة واقع الدعوة النبوية خلال السنوات الثلاث.

وبما ان هذا الواقع لم يتناسب إطلاقاً مع ما لحق بالمسلمين من متغيرات كثيرة رافقت حياتهم وواقعهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سياسياً ومذهبياً.

فان هذا الواقع الجديد دفع البعض إلى اختلاق نظرية «سرية الدعوة» لأجل تحقيق تلك الأهداف المذكورة آنفاً.

أما لماذا اقتصرت الدعوة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هؤلاء الثلاثة؟!.

فالجواب هو للأسباب الآتية:

١ ــ إنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤمر بدعوة عامة الناس خلال هذه السنوات الأولى حتى نزل قوله تعالى:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[1].

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

اما قبل نزول هذه الآية فكانت الدعوة انتقائية من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الأشخاص فكانوا هؤلاء الثلاثة عليهم السلام.

٢ ـ أن هذه الدعوة النبوية لهؤلاء كانت من محض علم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾(١).

٣ ـ لما سيترتب على هؤلاء الثلاثة من مهام عظيمة ومسؤوليات جسيمة في تأسيس الإسلام وقيام صرحه الشامخ.

ولذا:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتقي بعض الأشخاص فيدعوهم إلى هذا الدين وهم هؤلاء الأربعة؛ أي «علي وخديجة وأبو طالب وأبو ذر»، وهو في نفس الوقت كان خائفاً عليهم إلا أنه لم يكن متخفياً في شعاب مكة وبين جبالها وإنما كان ـ بأبي وأمي ـ يتعبد ويؤدي فرائضه أمام قريش؛ بل أمام كل من يأتي إلى مكة.

وإلا بأيّ وجه يمكن لنا أن نفسر وجود المستهزئين به وهو يتستر ويخفي دينه؟.

فهذه حقيقة واقع الدعوة خلال السنوات الثلاث من بعثة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومما يدل على هذه الحقيقة، عدة مسائل:

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣.

المسألة الأولى:

معارضة بعض النصوص الصحيحة لهذه النظرية

روى الحافظ النسائي[1] صاحب السنن قائلاً: أخبرني محمد بن محمد الكوفي قال: حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبدالله البجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال: جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فلما ارتفعت الشمس، وخلقت في السماء، وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل القبلة فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام من يمينه فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً، فسجدا معه.

فقلت يا عباس: أمرٌ عظيم؟!.

فقال: أتدري من هذا الشاب؟، فقلت: لا.

---

(١) وهو الحافظ المحدث القاضي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي ـ والنسائي، نسبة إلى نسا بلدة بخراسان، ولد عام (٢١٥هـ) وكان قد تتلمذ عند عدد كبير من شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي، وكان قد تتلمذ عنده جمع كثير منهم: الدولابي، والطحاوي، والطبراني، واتهم النسائي بالتشيع لروايته أحاديث في فضائل علي عليه السلام. وقد ذكر محمد بن موسى المأموني صاحب النسائي، قال: سمعت قوماً ينكرون على أبي عبدالرحمن النسائي كتاب: الخصائص لعلي ـ عليه السلام ـ، وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، فصنفت كتاب الخصائص، رجوت أن يهديهم الله تعالى.

«سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١٤، ص ١٢٥».

فقال: هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، هذا ابن أخي.

وقال: أتدري من هذا الغلام؟.

فقلت: لا.

قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، هذا ابن أخي، هل تدري من هذه المرأة التي خلفهما؟. قلت: لا.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، حدثني ان ربك ربّ السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه.

لا والله ما على ظهر الأرض كلها أحدٌ على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»[1].

ولهذا الحديث طريق آخر أخرجه ابن إسحاق، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل والحاكم، وغيرهم، وهو:

محمد بن اسحق، عن يحيى بن أبي الأشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف بن عمرو، قال: كنت امرأً تاجراً وكنت صديقاً للعباس بن عبدالمطلب في الجاهلية فقدمت لتجارةٍ فنزلت على العباس بن عبدالمطلب بمنى فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي ثم جاءت امرأة فقامت تصلي ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي، فقلت للعباس: من هذا؟.

---

(١) النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ: ص ٢٣ برقم ٦؛ وابن سعد في طبقاته: ج ٨، ص ١٧؛ وأبو يعلى الموصلي في المسند: ج ٣، ص١١٧.

فقال: هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن أخي يزعم أنه نبي ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام، وهذه المرأة: خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال عفيف الكندي وأسلم وأحسن إسلامه: «لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام»[(١)].

قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أي: البخاري ومسلم.

وأما دلائل الحديث فهي الآتي:

١ ـ «انّ الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن متخفياً يلتمس شعاب مكة لكي يصلي فيها كما يزعمون.

بل ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي إلى الكعبة فيقف أمامها ليؤدي صلاته أمام مرأى ومسمع من قريش، بل وأمام كل من يقدم إلى مكة كما حدث لعفيف الكندي.

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق: ص ١٣٧ ــ ١٣٨، فصل «إسلام علي بن أبي طالب ــ عليه السلام».

وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير: ج ٧، ص ٧٤، ص ٧٥ برقم ٣٤١؛ واحمد بن حنبل في المسند: ج ١، ص ٢٠٩؛ والحاكم في المستدرك: ج ٣، ص١٨٣؛ وأقره الذهبي في تلخيصه، والبيهقي في الدلائل: ج ١، ص ٤١٥؛ والهيثمي في الزوائد: ج ٩، ص ١٢٦ برقم (١٤٦٠٥)؛ وابن سيد الناس في عيون الأثر: ج ١، ص ٩٣؛ والحافظ الطبراني في المعجم الكبير: ج ١٨، ص ١٠٠ ـ ١٠١، برقم (١٨١).

٢ ـ هذا الوصف الدقيق من عفيف الكندي يدل على أن قريشاً لم تكن تتعرض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه المدّة.

٣ ــ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يؤدي الصلاة إماماً وكان له مأمومان، والغاية من ذلك هي إعلام جميع أهل مكة ومن يرد عليها من التجار.

٤ ـ إنّ ما يدعيه البعض من تعبد من أسلم خلال هذه المدة في شعاب[1] مكة هو غير صحيح.

لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يدع هؤلاء يعانون من الخوف والاضطهاد العقائدي بينما هو وزوجته وابن عمه يقيمون عباداتهم ويؤدون صلاتهم مطمئنين بدون جهد ولا مشقة ولا خوف قرب الكعبة.

٥. لو صح وجود أفرادٍ قد آمنوا بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال «الفترة السرية» كما يزعمون فما الذي منعهم من أداء الصلاة بإمامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ لماذا تكون الصلاة منحصرة باثنين؟!.

إذ لا يصح أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفرق بين الذين آمنوا به فيأمر اثنين بملازمته ويمنع البقية عن ذلك؟ كما لا يصح إن يقال أن بقية الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم غير راغبين بتأدية الصلاة معه.

٦ ـ إن فرضية الخوف من مشركي مكة خلال هذه المدّة لا تصح؛ لأن هذا الأمر حدث بعد الدعوة العامة إلى أهل مكة، أما خلال هذه المدّة فلم يكن غير

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٦٢؛ وسيرة ابن هشام: ج ١، ص ٢٨٢؛ البداية والنهاية: ج ٣، ص ٣٧.

علي وخديجة عليهم السلام.

كما نص عليه قول العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعفيف الكندي: «ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام».

٧ ـ ادعاء البعض ان أبا بكر هو أول من أسلم أو ثاني من أسلم، ادعاء لا يقوم على أساس من الصحة:

إذ لو كان حقاً انه أسلم خلال هذه الفترة السرية لجاء إلى أداء الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل علي بن أبي طالب وخديجة بنت خويلد عليها السلام.

فعدم ظهوره معهم فيه ثلاثة أوجه:

أ . إما أنه أسلم ولكن كان يخفي إسلامه خوفاً من قريش، وهذا الأمر يتعارض مع ما اعتقده البعض من أنه الوحيد الذي أعلن إسلامه[1].

ب . وأما أنه أسلم ولكن لم يكن يتّبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يقيم الصلاة معه، ولم يكن أحد من مكة ولا من زوارها قد رآه يتعبد بالإسلام وبخاصةٍ أنه الوحيد الذي أعلن إسلامه وهذا تعارض أيضاً.

ج . إما انه لم يسلم إلا بعد الإعلان عن الدعوة أي بعد مضي مدّة ثلاث سنوات أو أكثر وهو الصحيح.

ومما يدل عليه:

---

(١) الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج ٧، ص ٥٢؛ الثقات لابن حبان: ج ١، ص ٥٢؛ تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٦٠؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ١٢٦.

هو ورود أدلة كثيرة تنص على أن أبا بكر لم يسلم إلا بعد الإعلان العام عن النبوة. أي: بعد سنين عدة من بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، منها:

١ ـ ما رواه الطبري عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبي: «أكان أبو بكر أولكم إسلاماً»؟.

فقال:

«لا، وقد أسلم قبله أكثر من خمسين»(١).

٢ ـ ما رواه الحافظ ابن عساكر وابن كثير عن ابن إسحاق قوله:

«ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم.

فقال: أحق ما تقول قريشٌ يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا»؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق أدعوك يا أبا بكر، إلى الله وحده لا شريك

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٦٠؛ الإفصاح للشيخ المفيد: ص ٣٢؛ التعجب لأبي الفتح الكراكجي: ص ٩٧؛ كنز الفوائد للكراكجي: ص١٢٤؛ المناقب لابن شهر: ج ١، ص ٢٨٩؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج ٣، ص ٣٩؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٤٢٦؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣٠، ص٤٥.

له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعة أهل طاعته»[١].

ومن المعلوم عند جميع من قرأ سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قريشاً لم تتعرض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن عاب عليهم عبادتهم للآلهة، كما روى ابن إسحاق قائلاً: ثم دخل الناس في الإسلام إرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصدع بما جاءه وأن ينادي في الناس بأمره ويدعو إليه ـ أي نزول قوله تعالى ـ:

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[٢] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٣].

ـ إلى أن يقول ـ: فلما بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله «لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته صلى الله عليه وآله وسلم»[٤].

وهذا القول لا خلاف فيه من ان قريشاً لم تتعرض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بعد أن عاب عليهم آلهتهم وسفه أحلامهم وقول أبي بكر: «أحق ما

(١) السيرة لابن إسحاق: ج ٢، ص ١٢٠. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٣٠، ص ٣٥. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٣، ص٣٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ٢٨٢. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ١٣١. سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي: ج ٢، ص ٣٢٦.

تقول قريشٌ يا محمد من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا»؟ يدل على أنه كان يعبد الأصنام، موقناً بما تؤمن به قريش، وانه جاء مستفسراً عن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما يدل عليه أيضاً:

ما روي: من أن أبا بكر كان المبعوث من قبل قريش والناطق بلسانها وأن ما نزل بها يخصه فلذا قال: «آلهتنا، وعقولنا، وآباءنا» ولم يقل «آلهتهم وعقولهم...»؛ لاسيما وقد روي «أنه كان سفيراً لقريش في الجاهلية والناطق عنها»[1].

وفي هذه الأسباب كفاية لتجعل العقل متيقناً بأن هذا القول: «أول من أسلم»، قول فارغ، قد اختلقه أصحاب الأغراض الشخصية والأمراض القلبية.

وإن القول الفصل الذي لا تشوبه شائبة هو انّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو أول من أسلم؛ وأن خديجة عليها السلام هي ثاني من أسلم وأنهما قد صليا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم التالي من بعثته ولم يكن آمن معهما غير أبي طالب عليه السلام خلال السنين الثلاث الأولى، وهي: «الفترة الانتقائية» التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ينتقي من يراه أهلاً لنصرة هذا الدين قبل الدعوة إليه بعامة.

وما قسم العباس بن عبدالمطلب لعفيف الكندي بقوله:

---

(١) الجوهرة للبري: ج ٢، ص ١٣١ ـ ١٣٢ وقد جاء فيه قوله: «إن أبا بكر كان سفيراً لقريش في الجاهلية والناطق عنها».

«لا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة».

إلاّ حجةٌ قاطعة على أنّ الدعوة لم تكن سراً وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدعُ إلى هذا الدين غير علي بن أبي طالب، وخديجة بنت خويلد، وأبي طالب عليهم السلام.

المسألة الثانية:

ما ورد عن أهل بيت النبوة عليهم السلام في سرية الدعوة

وردت بعض الأحاديث الشريفة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لتبين سير الدعوة النبوية منذ بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى حين هجرته، وتظهر الحال الذي كان عليه سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه المدّة. ومنها:

ألف ـ عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

«اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره وعلي عليه السلام معه وخديجة ثم أمره عز وجل أن يصدع بما أمر به فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأظهر أمره. وفي خبر آخر كان مختفياً بمكة ثلاث سنين»[1].

باء ـ عن عبيد الله بن علي الحلبي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بعد ما جاءه الوحي

(١) إكمال الدين وتمام النعمة ـ للشيخ الصدوق، باب: ٣٣، «ما أخبر به الصادق عليه السلام»، ص ٣٤٤. الغيبة لشيخ الطوسي، فصل: في ذكر العلة المانعة من ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف: ص ٣٣٢. البحار: ج ١٩، ص ١٨.

عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر حتى أمره الله عز وجل أن يصدع بما أمره به، فأظهر حينئذ الدعوة»[1].

وهذان الحديثان قد أظهرا مجموعة من الحالات التي رافقت حركة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

خلال مدّة وجوده في مكة، وقد أقتبس منها بعض الرواة نظرية سرية الدعوة ظانين انها حقيقة لهذا الواقع. في حين أن الحديثين لا علاقة لهما بما يسمى بسرية الدعوة وما حملته من مفهوم أقرب ما يكون لحركة سياسية معارضة للطبقة الرأسمالية المتسلطة على سوق مكة وشعابها والمتنفذة في صناعة القرار فيها.

ولذا فقد أظهر الحديثان حقيقة سير الدعوة النبوية خلال الفترة المكية، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولا: حقيقة الكتمان الذي عمل به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

إن ما تحمله كلمة الكتمان من بيان لغوي قد طغى على أذهان بعض الرواة فظنوا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لزم السرية التامة على نبوته والتخفي عن قريش والتستر على من آمن به، وأنه كان يوصيهم بذلك فاخفوا إسلامهم إلا

---

(١) إكمال الدين وتمام النعمة ــ للشيخ الصدوق، باب: ٣٣، «ما أخبر به الصادق عليه السلام»، ص٣٤٤. الغيبة لشيخ الطوسي، فصل : في ذكر العلة المانعة من ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف: ص ٣٣٢.

من شذ عنهم كأبي بكر ابن أبي قحافة[١] حسبما يقولون.

إلا أن حقيقة الحدث لتختلف تماماً عن هذا المفهوم الذي أراد منه معتقدوه التركيز على بعض الشخصيات فتوهموا، وأوهموا الناس بما يعتقدون من نظرية سرية الدعوة؛ في حين ان الكتمان الذي عمل به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له مصداق آخر دلت عليه الأحاديث الشريفة الواردة عن العترة النبوية، وهو:

أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يتكتم على الأذى

وهذا ما أشار إليه الحديث الذي رواه الشيخ الكليني رحمه الله عن أبي جعفر الثاني، أي الجواد عليه السلام عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام في حديث تضمن مجموعة مسائل قد توجه بها أحد الحجاج للإمام الباقر عليه السلام، نأخذ منها ما يناسب المطلب.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

بينا أبي عليه السلام يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر[٢] قد قيض له فقطع عليه أسبوعه، (أي طوافه) حتى أدخله إلى دار جنب الصفا، فأرسل إلي فكنا ثلاثة.

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ١، ص ٤٠٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج ٧، ص١٢٦. المصنف لابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٥٣٧.

(٢) الاعتجار: لف العمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك.
كتاب العين للفراهيدي، مادة «عجر»، ج ١، ص ٢٢٢.
وقيل: ان يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه لا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.
«لسان العرب، لابن منظور: مادة عجر، ج ٤، ص ٥٤٤».

إلى أن يقول عليه السلام:

قال ـ الرجل ـ: أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف، من يعلمه؟.

قال: «أما جملة العلم فعند الله جل ذكره، وأما لابد للعباد منه فعند الأوصياء؛ قال: ففتح الرجل عجيرته واستوى جالساً وتهلل وجهه».

وقال: هذه أردت ولها أتيت زعمت أن علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء فكيف يعلمونه؟.

قال: «كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى لأنه كان نبياً وهم محدّثون، وأنه كان يفد إلى رسول الله عز وجل فيسمع الوحي وهم لا يسمعون».

فقال: صدقت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سآتيك بمسالة صعبة؛ أخبرني عن هذا العلم ماله لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

قال:

فضحك أبي عليه السلام وقال:

أبى الله عز وجل أن يطلع على علمه إلا ممتحناً للإيمان به كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على أذى قومه، ولا يجاهدهم، إلا بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[١].

وايم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمنا، ولكنه إنما نظر في الطاعة، وخاف الخلاف فلذلك كف»[٢].

والرواية واضحة الدلالة والحجة في كف النبي الأكرم عن الجهاد في هذه المدّة ومواجهة المشركين وانه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتكتم على الأذى، ناهيك عن قسم الإمام الباقر عليه السلام في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو صدع منذ بداية مبعثه لكان آمناً.

ثانيا: في معنى انه صلى الله عليه وآله وسلم كان خائفا

إن خوف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من المشركين كما يصوره أصحاب نظرية سرية الدعوة وإنما «نظر في الطاعة، وخاف الخلاف فلذلك كف» عن مواجهتهم وصبر على تحمل الأذى كما هو واضح في بيان الإمام الباقر عليه السلام لحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المدّة.

ثالثا: في بيان الصدع الذي أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إن الصدع الذي جاءت به الآية الكريمة إنما كان لمواساته صلى الله عليه وآله وسلم وتطييب خاطره وتصبيره على الأذى النازل به وإيذاناً ببدء مرحلة الجهاد ومواجهة المشركين بتعييب عقولهم وتسفيه أحلامهم، فلاحظ ذلك في قول الإمام الباقر عليه السلام:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) الكافي للكليني رحمه الله، باب: في شأن ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ج ١، ص ٢٤٣.

«**كما قضى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلا بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له:**

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]».

ومما يدل عليه أيضاً:

١ ـ ما رواه الصفار عن عمار بن مروان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام انه قال:

«**نحن قوام الله على خلقه وخزانه على دينه نخزنه ونستره ونكتم به من عدونا كما كتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اذن له في الهجرة وجهاد المشركين فنحن على مناهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى يأذن الله لنا في إظهار دينه بالسيف، وندعو الناس إليه فنضربهم عليه عودا كما ضربهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدءاً**»[2].

٢ ـ إن الآية في مقام بيان المصابرة في تبليغ أوامر الله وهو ما ذهب إليه السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره.

قال رضي الله عنه:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ص ٥٣٨؛ البحار: ج ٢٤، ص ١١٨؛ مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي: ص ٢٢٦؛ تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير سورة طه: ص ٢٥٦.

«وحاصل الآية: أن الله سبحانه يحرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المصابرة في تبليغ أوامره، ونشر أحكامه، وأن لا يلتفت إلى أذى المشركين واستهزائهم، ولا علاقة لذلك بحكم القتال الذي وجب بعد ما قويت شوكة الإسلام، وظهرت حجته.

نعم إن النبي الأكرم لم يؤمر بالجهاد في بادئ الأمر لأنه لم يكن قادراً على ذلك حسب ما تقتضيه الظروف من غير طريق الإعجاز، وخرق نواميس الطبيعة، ولما أصبح قادراً على ذلك وكثر المسلمون، وقويت شوكتهم، وتمت عدتهم وعتدهم أمر بالجهاد، وقد أسلفنا أن تشريع الأحكام الإسلامية كان على التدريج وهذا ليس من نسخ الحكم الثابت في شيء»[١].

٣ ـ إنها في بيان الإعلان عن ظهور الدين على الأديان الأخرى، وفي بيانه قدس سره حول أخبار القرآن بالغيب، قال: «هذه الآية الكريمة:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[٢].

إنها نزلت بمكة في بدء الدعوة الإسلامية، وقد أخرج البزاز والطبراني في سبب نزولها عن أنس بن مالك: انها نزلت عند مرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبرائيل[٣]؛ فأخبرت الآية عن ظهور أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرة الله

---

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: فصل مزاعم حول المتعة: ص ٣٥٩.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤ و٩٥.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني: ج ٧، ص ١٥٠. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ج ٤، ص ←

له، وخذلانه للمشركين الذين ناوءوه واستهزؤوا بنبوته، واستخفوا بأمره، وكان هذا الإخبار في زمان لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط شوكة قريش، وانكسار سلطانهم، وظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم؛ ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1].[2]

٤ ـ انها تؤمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يجهر بالقرآن بالصلاة.

فعن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ يقول: «إجهر بالقرآن في الصلاة»[3]. وهذا يشير إلى أن النبي الأكرم كان يصلي ولكنه لا يجهر بقراءة القرآن أثناء الصلاة، أي لم تكن الدعوة سرية كما يصورها أصحاب هذه النظرية.

وقد روى العياشي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ما يشير إلى هذا المعنى أيضاً، فقد سُئِلَ عليه السلام عن قوله تعالى:

---

١٠٨. السيرة الحلبية: ج ١، ص ٥١٧. لباب النقول، جلال الدين السيوطي: ص ١٣٢. سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي: ج ١٠، ص ٢٥٥.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، فصل: القرآن والإخبار بالغيب: ص٦٨ ـ ٦٩.

(٣) تفسير مجاهد بن جبر، تفسير سورة الحجر: ج ١، ص ٣٤٤؛ تفسير القرآن، عبدالرزاق الصفاني: ج ٢، ص ٣٥١؛ تفسير الثوري، سفيان الثوري: ص ١٦٢.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[١].

فقال عليه السلام:

«**نسختها** ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[٢]».

٥ ـ إن الآية في مقام بيان إظهار القرآن وفضائل أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما أخرجه الحاكم الحسكاني، عن السدي، عن أبي طالح، قال ابن عباس: «أمره أن يظهر القرآن، وأن يظهر فضائل أهل بيته كما أظهر القرآن»[٣].

٦ ـ انها في مقام بيان عدم الالتفات والاعتناء بتهديد المستهزئين والإعراض عن المشركين والمضي قدماً في تبليغ الدعوة وهو ما أخرجه الشيخ الصدوق رضي الله عنه في خبر هؤلاء المستهزئين، فقال: «إنهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك.

فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله فأغلق عليه بابه مغتماً بقولهم فأتاه جبرائيل عليه السلام ساعته فقال له:

يا محمد السلام يقرئك السلام وهو يقول: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ يعني أظهر أمرك لأهل مكة وأدع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

قال:

يا جبرائيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني؟.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ج ٣، ص ١٢٢.

(٣) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج ١، ص ٤٢٥.

قال له:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾.

قال:

يا جبرائيل كانوا عندي الساعة بين يدي؟.

فقال:

فقد كفيتهم، فأظهر أمره عند ذلك»[١].

وقد أظهر الخبر أن قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ليس بداية مرحلة الدعوة العلنية، بل كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بادئاً بها قبل نزول هذه الآية وان الأمر بلغ حد المواجهة والتهديد بالقتل فأي سرية والأمر بلغ هذا المبلغ.

وقد روى ابن إسحاق خبر المستهزئين وقصة هلاكهم في سيرته عن عروة بن الزبير، دالاً إلى أن الأمر بلغ غاية في الشدة؛ فلقد تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستهزاء فأنزل الله تعالى عليه ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾[٢].

إذن: فسير الدعوة النبوية في سنينها الأولى لم يكن سرياً، وإنما كان محصوراً بمكة، وإن المراد من التكتم هو عدم إظهار أمر النبوة خارج مكة، بمعنى

---

(١) الخصال للصدوق: ص ٢٨٠؛ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٢٢؛ بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٧؛ التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ج ١، ص ٦٣٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ٣، ص ٢٧٧؛ جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج١٤، ص ٩٤؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج ٥، ص ١٧؛ تخريج الأحاديث والآثار، للزيلعي: ج٢، ص ٢١٩.

ان تحرك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان محصوراً بمكة يدعو إلى الإيمان به من الناس من يجد فيه الخير والاستجابة وهم خديجة، وعلي، وأبو طالب الذي جاء بولده جعفر في اليوم التالي لإسلامه فقال له حينما رأى النبي وعلياً وخديجة يصلون «صل جناح ابن عمك»[١]، فوقف عن يسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وعلي عن يمينه وخديجة خلفهما حتى أذن الله تعالى بمجيء أبي ذر الغفاري إلى مكة يستعلم حال الخبر الذي وصل إليه من بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيها ليكون رابع من أسلم حسبما نصت عليه المصادر. وليكون إسلامه رضوان الله تعالى عليه أحد الأدلة على انتفاء نظرية سرية الدعوة كما سيأتي.

المسألة الثالثة:

إسلام أبي ذر رضي الله عنه وحقيقة سرية الدعوة

إن حادثة إسلام أبي ذر رضي الله عنه تدل على أنها حصلت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة النبوية كما تدل أيضاً على انتفاء نظرية سرية الدعوة خلال هذه السنوات، لاسيما وأن أبا ذر رضي الله عنه هو رابع من أسلم[٢].

كما تدل هذه الحادثة على أن دار الأرقم هو من نسج خيال أقلام متزلفي

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص ٥٩٨؛ وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ٨، ص ٣٨٨؛ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج ٢، ص ٣٣٣؛ تفسير الآلوسي: ج ٣، ص ١٨٣؛ أسد الغابة، ابن الأثير: ج ١، ص ٢٨٧؛ كتاب العثمانية للحافظ: ص ٣١٥؛ السيرة الحلبية: ج١، ص ٤٣٣.

(٢) المجموع للنووي: ج ٤، ص ٣٥.

السلطة الأموية.

ولذا، فان حادثة إسلام أبي ذر رضي الله عنه والتي تنص على انه رابع من أسلم تبدد أوهام بعض الرواة في سرية الدعوة.

كيف كان إسلام أبي ذر رضي الله عنه

أخرج البخاري عن أبي حمزة، قال: قال لنا عبدالله بن عباس[(١)]:

---

(١) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، ترجم له الذهبي بقوله: «الإمام البحر، عالم العصر، أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو الخلفاء ـ العباسيين ـ.

مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعبد الله ثلاث عشرة سنة وقد دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل.

وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسي ودعا لي بالحكمة.

وعن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخرج ثم خرج فإذا تور مغطى فقال: من صنع هذا؟، قال عبدالله، فقلت: أنا. فقال: اللهم علمه تأويل القرآن.

وعن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق، قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك اسناننا ما عاشره منا أحد. وعن الأعمش أيضاً عن أبي وائل استعمل علي ــ عليه السلام ـ عبد الله بن عباس على الحج فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها.

وعن المدائني عن نعيم بن حفص، قال أبو بكر: قدم ابن عباس علينا البصرة وما في العرب مثله جسماً وعلماً وبياناً وجمالاً وكمالاً.

وقد توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة».

«تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١، ٤٠ ـ ٤١».

←

ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟.

قال: قلنا: بلى، قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً في غفار فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل كلمه وائتني بخبره فانطلق فلقيه ثم رجع.

فقلت له: لم تشفني من الخبر فأخذت جربا وعصا ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد.

قال: فمر بي علي فقال:

«**كأنّ الرجل غريب**»؟.

قال: قلت: نعم. قال:

«**فانطلق إلى المنزل**».

قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء قال: فمر بي علي فقال:

«**أما آن للرجل يعرف منزله بعد**»؟.

قال: قلت: لا.

قال:

«**فانطلق معي**».

قال، فقال:

→ ولمعرفة المزيد عن ترجمته: أنظر: «تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٥، ص ٢٤٢. الإصابة لابن حجر: ج ٤، ص ١٢٢. الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٧، ص ١٢١».

«ما أمرك، وما أقدمك هذه البلدة»؟.

قال: قلت له: ان كتمت عليّ أخبرتك.

قال:

«فاني أفعل».

قال: قلت له، بلغنا انه قد خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه، فقال له:

«اما انك قد رشدت هذا وجهي إليه فاتبعني أدخل حيث أدخل، فاني إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وأمض أنت».

فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له: اعرض عليّ الإسلام؟ فعرضه فأسلمت مكاني فقال لي:

«يا أبا ذر أكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فاقبل».

فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم.

فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال: يا معشر قريش إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا فضربت لأموت، فادركني العباس فأكب عليّ، ثم أقبل عليهم، فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار؛ فاقلعوا عني، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما

قلت بالأمس؛ فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ فصنع مثل ما صنع بالأمس وأدركني العباس فاكب عليّ وقال: مثل مقالته بالأمس، قال: فكان هذا أول إسلام أبي ذر رحمه الله»[(١)].

والحادثة تكشف عن انتفاء سرية الدعوة وتدل على واقع حقيقة هذه الفترة من بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأدلة الآتية:

ألف ـ التقاء الإمام علي عليه السلام بأبي ذر رضي الله عنه واستضافته ثلاثة أيام ثم أخذه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الطريقة الحذرة لا يدل على أنه اسلم في «الفترة السرية» وانما يدل على ان إسلامه كان بعد تسفيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحلام قريش. بدليل ما أخرجه ابن هشام عن تحديد الوقت الذي أخذ فيه المشركون بالتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه، وهو: حينما أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتسفيه أحلامهم، وتعييبه لعقولهم، فعندها أخذوا يتعرضون له ولأتباعه.

فأراد الإمام علي عليه السلام الحفاظ على أبي ذر كي لا يأخذ على الظنة، لاسيما وهو يسير مع علي عليه السلام.

وعليه: فإذا كان أبو ذر رابع من أسلم فان التعرض له بسبب إسلامه كان بعد قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتسفيه أحلامهم.

باء ـ وجود المستهزئين يعني أن الدعوة لم تكن سرية فلو كانت كذلك فمن أين ظهر المستهزئون؟ وظهورهم متوقف على إجهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح البخاري، باب: قصة زمزم: ج ٤، ص ١٥٩.

بدعوته وتسفيهه أحلام قريش.

جيم ـ تعارض مصادق سرية الدعوة مع قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[١].

لقد استدل بعض كتاب السيرة النبوية بقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ على سرية الدعوة من حيث كونها واقعاً لحركة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خلال السنوات الأولى في حين أن الاستدلال بها هو استدلال واهٍ ومغاير لما نطقت به الآية الكريمة من تشريف وتصبير لسيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم لما يلاقي من الأذى ولاسيما أولئك الذين تصدوا له في كل محفل من محافل قريش بالاستهزاء والسخرية؛ فكان الأمر الإلهي يدعوه إلى المضي فيما كان يسير عليه ولا يفتر بسبب هؤلاء المستهزئين فقد كفاه الله شرهم ووجودهم فقد أهلكهم الله تعالى.

ولذلك: فان الآية ترسم للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم منهاج التبليغ في مكة وكيفية التعامل مع المشركين من خلال نهجين:

النهج الأول: هو الصدع، «والصدع في الزجاج وفي الحائط: أن تبين بعض الشيء عن بعض»[٢]. وهو التفريق لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾[٣]. أي: يتفرقون[٤].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج ١، ص ١٣٢.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور: ج ٨، ص ١٩٤، فصل الصاد المهملة.

ويراد به الانتقال بالدعوة إلى التوحيد من مكة إلى المدن الأخرى وتفريق هذا الأمر وإظهاره خارج مكة، بمعنى توسيع دائرة التبليغ على مساحة جغرافية واسعة وهو ما أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لأبي ذر رضي الله عنه «حتى يأتيك أمرنا»، فهذا مراد الصدع، أما حاله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة فلم يكن مستتراً بدليل صلاته في الحرم مع علي وخديجة عليهما السلام في اليوم الثاني من مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أولاً.

ثانياً: تسفيهه صلى الله عليه وآله وسلم أحلام قريش.

ثالثاً: لوجود المستهزئين، وهذه الأدلة قد بيّنّاها مفصلاً.

أما النهج الثاني الذي جاء به الوحي فهو الإعراض عن المشركين، أي: ترك تسفيه أحلامهم وتعييب عقولهم. وقريب من هذا المعنى قال بعض المفسرين في بيانهم لمراد الآية:

١ ـ «لا تخاصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم».

٢ ـ «معناه لا تلتفت إليهم، ولا تخف منهم».

٣ ـ «أعرض عن مجادلتهم إذا آذوك»[1].

فهذه الأقوال تشير بوضوح إلى المنهج الجديد الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع المشركين الذين تعرضوا له ولأتباعه، والى انتفاء ما يسمى بسرية الدعوة.

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج ٦، ص ١٣١.

دال ـ إنّ السبب الذي دفع أبا ذر في إرسال أخيه إلى مكة هو لتقصي صحة الخبر الذي وصل إلى أهل غفار بظهور نبي جديد في مكة وهذا يدل على انتشار أمر النبوة بمساحة جغرافية حدودها من لبنان إلى مكة.

وعليه: فأي سرية كانت للدعوة وخبرها منتشر على هذه الرقعة الجغرافية؟!.

إذن:

فإن إعلان أبي ذر إسلامه يدل على أنه أسلم بعد انتشار أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لا يمكن أن يأتي أبو ذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسلم على يديه ثم يقوم بمخالفة أمر رسول الله فيكشف عن دينه ويعرض نفسه للتهلكة فهذا الأمر لا ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية ولا مع شخصية أبي ذر رضي الله عنه. وما عرف عنه من صدق الطاعة والإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه: فقيامه بالإعلان عن إسلامه إنما هو ينصب في صميم نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تسفيه أحلام قريش.

ولذا نجده كان يعيد الأمر مراراً ليسجل التاريخ لهذا الرجل أنه صاحب الصرخة الأولى من صرخات أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تطلق في وجه الظلم وليدون بأحرف من نور أن أبا ذر رجل الجهاد والولاء، وأنه قد انتهج هذا النهج منذ أن أكرمه الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكان البيت الحرام هو منطلقه الأول والآخر كما حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم إذ دافع أبو ذر عن بيعة الغدير وولاية علي عليه السلام بعد أحداث السقيفة[١].

إذن: كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتكتم على دعوة من يدعوه للدخول إلى هذا الدين ولم يكن يتكتم على نفس الدين بدليل:

١ ـ انه كان يصلي مع خديجة وعلي عليهما السلام قرب الكعبة.

٢ ـ تعرضه للتهديد بالقتل من المستهزئين وانتشار خبره إلى لبنان وفلسطين.

٣ ـ مجيء أبي ذر إلى مكة وإسلامه رضي الله عنه وطريقة إعلانه لما يعتقد به ووقت دخوله الإسلام يدل على أن الأمر تم في السنة الرابعة أو الخامسة.

ولذا: لا وجود لفترة سرية؛ وإنما الذي كان هو فترة انتقائية، كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ينتقي الأفراد فيها ويطلب منهم الكتمان لخوفه عليهم من طغاة قريش وهم ينظرون إليه قد سفه أحلامهم، وعاب عقولهم، فلا يستطيعون التعرض له لمكانته من أبي طالب عليه السلام فينعطفون على من آمن به؛ وهو ما حصل لأبي ذر حينما تحدى قريشاً ونادى فيهم بالشهادتين.

ومن هنا نعود إلى ما أخرجه الحافظ أبو سعيد الخركوشي الذي أوردناه في بداية المبحث الأول وتناولنا نقاط البحث فيه، وقلنا في النقطة الثالثة: ان المراد من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فاكتم عليَّ، هو طلب التكتم على العرض الذي عرضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب عليه السلام في حال عدم قبوله الدخول في هذا الدين.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٦، ص ١٣.

فكانت النتيجة:

أن أبا طالب عليه السلام قبل العرض وتكتم على إسلامه منذ هذه اللحظة التي رأى فيها النبي يصلي ومعه علي وخديجة عليهما السلام، فكان وقت إسلامه رضي الله عنه في اليوم التالي لتنبؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن النصوص التي أوردناها تبين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف يصلي وخديجة وعلي عليهما السلام صلاة الجماعة في اليوم التالي من نزول الوحي.

ومما يدل عليه:

أولا: «حوار أبي طالب مع الإمام علي عليه السلام يدل على أنه أسلم في هذا الوقت»

بعد أن سمع أبو طالب كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفهم معانيه وما يريده النبي منه لم يُجبْ على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي كلمة، إنما توجه بالسؤال إلى ولده علي أمير المؤمنين (سلام الله عليه) لحاجة كانت في نفس أبي طالب؟!.

فقال: «ألا ترى إلى محمد ما يقول»؟!.

فأجابه علي عليه السلام:

«يا أبه إن محمداً لصادق فيما يقول، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانّ محمداً عبده ورسوله»[1].

وعند البحث في مدلولات هذا الحوار ظهر ما يلي:

---

(١) شرف المصطفى للحافظ الخركوشي: ص ٢٤، «مخطوط» يرقد في مكتبة الأسد بدمشق ويحمل الرقم «١٨٨٧».

١ ـ أراد أبو طالب عليه السلام أن يتأكد من حقيقة دخول ولده علي عليه السلام إلى هذا الدين، وأن وقوفه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤدي الصلاة لم يكن عن دافع المتابعة العاطفية التي تربط النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الإمام علي عليه السلام؛ بل أن هذا الوقوف في الصلاة كان معبراً عن صدق يقينه ورسوخ إيمانه.

ولذا تراه عليه السلام نطق بالشهادتين، وإلا كان قوله عليه السلام: «**يا أبه ان محمداً لصادق فيما يقول**» فيه كفاية تدل على وقوف ولده علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن نطقه بالشهادتين كان دليلاً يقدمه لأبيه على صدق إيمانه وتمسكه بدينه.

٢ ـ إنّ نطق الإمام علي عليه السلام بالشهادتين يكشف عن كمال عقله وفطنته من جهة، ومن جهة أخرى يظهر جميل ذوقه وأدبه، ولطف بره بوالده، إذ نقل لأبيه كيف ينطق الشهادتين دون أن يسأل عنهما أبو طالب عليه السلام إذ المفروض أن يتوجه أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فيسأله عن كيفية الدخول إلى هذا الدين، أهو عبارة عن هذه الصلاة التي رآهم يؤدونها، أم إنه شيء آخر؟.

ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلب منه التكتم على ما عرضه عليه، فأن أبا طالب لم يسأل عن أي شيء لكي لا تفهم خديجة أو ولده عليهما السلام أنه قبل العرض. وما ذاك إلا من شدة حرصه على وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكمته البالغة في التعامل مع الحدث، ولذا نراه توجه بالسؤال إلى ولده عليه السلام.

ومن هنا، كانت الالتفاتة من أمير المؤمنين علي عليه السلام فقام ونطق الشهادتين أمام أبيه لكي يبين له أن الدخول إلى هذا الدين يكون من خلال النطق بهذه الكلمات وإلا كيف يمكن ان ينسجم تأخير الشهادتين على القيام بتأدية الصلاة، بمعنى أن المسلم كي يدخل إلى هذا الدين ينبغي به ان ينطق الشهادتين ثم يتوضأ ثم يصلي في حين نجد ان الرواية تشير بوضوح إلى مجيء أبي طالب إلى النبي الأكرم ومع علي وخديجة وهم يصلون فيسأل عن هذا الأمر الذي أظهره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يلتفت إلى ولده علي فيسأله عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليطمئنّ ان ولده مؤمن بهذا الدين وانه وقف يصلي مع النبي من دافع إيمانه وان الغرض من نطقه الشهادتين في هذا الوقت هو عبارة عن نقل هذه الكلمات التي يستطيع من خلالها أبو طالب الدخول إلى هذا الدين.

وعليه: فان أبا طالب رضي الله عنه كان قد أسلم في هذا الوقت أي في اليوم التالي لبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه تكتم على إسلامه فلم يظهره لساناً لأحد لكن في نفس الوقت أظهر إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال تلك المواقف التي آوى وناصر ودافع بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت كل ذرة في أبي طالب تنطق بالإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانيا: «خاتمة الرواية تدل على أنه ثالث من أسلم»

ان البداية والنهاية لهذه الرواية تسير بنسق واحد وتدل على معنى واحد وهو ان أبا طالب أسلم في هذا الوقت.

فأول شيء ابتدأت به الرواية هو: «ان أول من أسلم خديجة فقامت تصلي

مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي فرآهما يصليان فدخل معهما الإسلام فقاموا ثلاثتهم يصلون، ثم جاء أبو طالب وهم يصلون».

وآخر شيء انتهت به الرواية هو: «وتتابع المسلمون وأظهر الله دينه»[1].

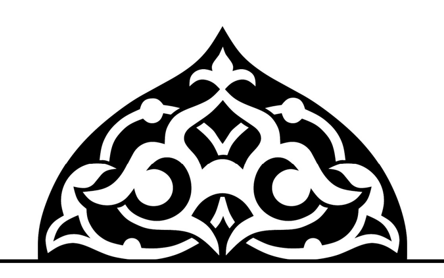
فهذا النسق يدل على أن محتوى الرواية يشير بوضوح إلى مَنْ أسلم عند بدء البعثة، وكيف دخل المسلمون إلى هذا الدين، حتى وان لم تذكر نصاً ان أبا طالب نطق الشهادتين في هذا الوقت بدليل أنها لم تنص لفظاً على أن علياً ثاني من أسلم.

إلا أن سياقها العام ومدلولها البياني يشير إلى هذه الحقيقة بقرينة ما يرد على السامع عند سماعه هذا الحوار ومثاله «جاء اثنان من المصلين إلى المسجد ثم جاء ثالث ثم تتابع المصلون» فهذا السياق في هذا المثال يدل على ان الشخص الثالث هو أيضاً من المصلين وان لم يتبع بكلمة الصلاة.

وعليه: فان السياق العام للرواية التي أخرجها الحافظ أبو سعيد الخركوشي مع ما جاءت به أول الرواية وآخرها كلها تدل على ان الفرد الثالث الذي دخل إلى الإسلام هو أبو طالب عليه السلام حتى وان لم يصرح بذلك الراوي.

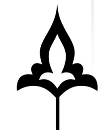
---

(١) شرف المصطفى للحافظ أبي سعيد الخركوشي، ص ٢٤، «مخطوط» يرقد في مكتبة الأسد ويحمل الرقم «١٨٨٧».



المبحث الرابع

العلة في إخفاء أبي طالب عليه السلام إسلامه





بقي أن نورد جواباً لما سيرد على ذهن القارئ الكريم من تساؤل يدور حول العلة التي جعلت أبا طالب يتكتم على إسلامه فلا يظهره؟ والجواب على ذلك يكمن في النقاط التالية:

١ ـ التزاماً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي تضمنها معنى قوله: «**فإن دخلت معي فيه وإلا فاكتم عليّ**» وبيّنا من خلال البحث المتعلق بسرية الدعوة أنّ المراد من «**فاكتم عليّ**» أي: فاكتم عليّ العرض الذي عرضته عليك في أمر الدخول إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لنفسه.

٢ ـ إنّ الدور الذي كان يترتب على أبي طالب في قيام هذا الدين، وقيامه بحماية رسول الله يلزمه بالتكتم وعدم إظهار إسلامه.

٣ ـ هذا التكتم مكّنه من توفير التغطية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك من خلال ما يتمتع به من حصانة اجتماعية وقيادية، فهو شيخ الأبطح، وزعيم بني هاشم التي بيدها سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وحلوان

النّفر[1]، ولهذه المكانة كانت العرب تجله وتهيبه وتقدره، فضلاً عن جميع ذلك كان يتمتع برصيد ضخم من المفاخر والمآثر التي كانت ترافقه في حله وترحاله حتى قيل: «إذا أطعم أبو طالب امتنعت قريش من أن تطعم أحداً»[2] لبالغ كرمه، فهذا كان حاله، وهكذا كانت مكانته بين قومه، وبين العرب تفوح عطراً شذياً كالعطور التي كان يتجر بها، فهو أول من باع العطر واتجر به[3].

٤ ـ لو عكسنا الأمر، أي: أنه أظهر إسلامه فما هي النتائج؟.

أ. جعله مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صف واحد من المواجهة.

ب. انشقاق بني هاشم بين ساكتٍ وبين مخالفٍ.

ج. تمكن طغاة قريش من تأليب الناس ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه فارق دينهم ودخل في دين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

د. عدم تمكنه من توفير الحماية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هـ. عدم مقدرته على جمع بني هاشم من حوله لأنه ترك دين أهل مكة ومن ثم يكون قد فقد ما يملك من عناصر أساسية وفاعلة في توفير الحماية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ظهر ذلك جلياً في حوادث متعددة، منها هذه الحادثة التي تكشف عن إمكانيته الكبيرة في حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم معتمداً في ذلك على عنصرين وهما:

---

(١) الجوهرة للبري: ج ٢، ص ١٣٣.

(٢) الجوهرة للبري: ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) الأوائل للعسكري عليه السلام: ص ٣٤٠؛ المعارف لابن قتيبة: ص ٥٧٥.

أولاً: انقياد بني هاشم لأمره.

وثانياً: منزلته السامية والمرموقة بين أشراف قريش، حتى فاقهم شرفاً، ورفعةً، وسمواً، ومهابةً، لدرجة انهم اقروا له بسيادته وفضله عليهم.

فقد روي أنّ بعض أشراف قريش جاءوا إلى أبي طالب وطلبوا منه أن يدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويدفعوا إليه (عمارة بن الوليد) فأبى ذلك وقال: أتقتلون ابن أخي وأغذو لكم ابنكم ان هذا لعجب!.

فقالوا:

ما لنا غير أن نغتال محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلما كان المساء فقد أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخاف أن يكونوا قد اغتالوه، فجمع فتياناً من بني عبد مناف، وبني زهرة، وغيرهم، وأمر كل فتى منهم أن يأخذ معه حديدة ويتبعه، ومضى، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له:

أين كنت يا بن أخي؟ أكنت في خير؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

نعم والحمد لله.

فلما أصبح أبو طالب دار على أندية قريش والفتيان معه، وقال: بلغني كذا وكذا، والله لو خدشتموه خدشاً ما أبقيت منكم أحداً إلا أن أقتل قبل ذلك! فاعتذروا إليه.

وقالوا: أنت سيدنا وأفضلنا في أنفسنا.

وقال أبو طالب:

منعنا الرسول رسول المليكِ ... ببيضٍ تلألأ مثل البروق
اذب واحمي رسول الإله ... حماية عمٍ عليه شفيق(١)

وفي هذه الحادثة يقول الحافظ العراقي منشداً:

ثم مشت قريش الأعداء ... إلى أبي طالب إذ يساء
من ابنه محمد في سبهم ... وسب دينهم وذكر عيبهم
في مرة ومرة ومرة ... وهو يذب ويقوي أمره
في آخر المرات قالوا أعطنا ... محمداً وخذ عمارة ابننا
بدله قال أردتم أكفل ... ابنكم وأسلم ابني يقتل
ثم مضى يجهر بالتوحيد ... ولا يخاف سطوة العميد(٢)

وبناءً على ما تقدم فقد بدا لنا: أن السبب الذي دفع أبا طالب لإخفاء إسلامه هو التزامه بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما عرض عليه الدخول إلى الإسلام ومنحه خصائص ومناقب فيما لو عمل على نصرة هذا الدين وهو الأمر الذي نص عليه القرآن كقوله:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾(١).

---

(١) ديوان شيخ الأباطح: ص ٢٤؛ أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٦، وص ٣١.

(٢) نظم الدرر السنية في السيرة الزكية للحافظ العراقي، «مخطوط» يرقد في مكتبة الأسد بدمشق، ويحمل الرقم «١٨٨٥٥».

شَيْئًا﴾(١).

فضلاً عن أن الأحداث التي رافقت سير الدعوة خلال السنوات المكية ولاسيما بعد وفاة أبي طالب عليه السلام قد دلت بوضوح تام على نجاح حكمة أبي طالب في إخفائه إسلامه، إذ ان الحال العسير الذي أصبح عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد رحيل عمه لخير دليل على بيان نتائج هذه الحكمة البالغة التي لولاها لما تمكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تحقيق تقدم يذكر، بل لوئدت الرسالة في مهدها لشدة ما يحيط بها من أخطار عظيمة ممثلة برهبان اليهود، وكهنة المشركين والسحرة وطغاة السلطة وفراعنة المال، وسماسرة العبيد، وتجار النساء، ومتعطشي الدماء، ومنتهكي الحرم، وصعاليك الأعراب، والمتسلطين بأنسابهم وأمجاد آبائهم، وغيرها لكثير جداً فيما لو أخذنا بعين الاعتبار أن النهج الذي ينتهجه الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الأحكام قائم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس على القوة، وان كانوا مؤيدين ومسددين من السماء، إذ «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها»(٢). فكان من أسباب قيام هذا الدين وجود أبي طالب رضوان الله تعالى عليه.

إذن:

حقيقة إسلام أبي طالب عليه السلام قد عرفها المحب لعلي بن أبي طالب عليه السلام والمبغض، والفرق بينهما:

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، باب: معرفة الإمام والرد إليه، ج ١، ص ١٨٣.

أنّ المحب قال: إنّ أبا طالب كان مؤمناً لكنه لم يظهر ذلك لساناً بنطق الشهادتين.

وإنما أظهره بفعله الذي لم يأتِ بمثله أحد من العالمين فيما إذا أخذنا بعين الحسبان ما يمتاز به الزمان والمكان والأشخاص الذين بعث فيهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وبمعنى آخر: إنّ أبا طالب لم يُظهر إسلامه بنطق الشهادتين أمام الملأ من قريش ولكنه أظهر إيمانه بيده ولسانه وقلبه بل أنّ كل ذرة في كيان أبي طالب عليه السلام تنطق إيماناً وجهاداً.

وأما المبغض فيقول: «أنه مات على دين قومه، ولم يسلم، وأنه في ضحضاح من النار».

وأعجب ما قيل في هذا الصدد، هو قول ابن كثير الأموي، الذي ذهب: إلى أنّ الله تعالى قد حكم وقضى على أبي طالب بأنْ يكون على دين قومه ويموت كافراً ويدخل النار ويعذب بنعلين يغلي منها دماغه.

وهذا نص قوله: «وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ولاجترؤوا عليه، ولمدّوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد قسم خلقه أجناساً وأنواعاً»[(١)].

ثم يضيف قائلاً: «فهذان العمّان كافران! أبو طالب وأبو لهب، ولكنّ هذا

(١) السيرة النبوية لابن كثير: ج ١، ص ٤٦١؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج ٣، ص ٥٤.

يكون في القيامة في ضحضاح من نار، وذلك في الدرك الأسفل من النار»[١].

وهذا من أعجب ما قيل!! بل ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾[٢].

إذ كيف تقتضي حكمة الله تعالى أن يكون أبو طالب كافراً ـ والعياذ بالله ـ ثم يقوم بإدخاله النار فيعذبه؟!. استغفر الله من كل قبيح ينسب إلى الله عز وجل.

إلى هذا الحد يمكن للبغض ان يعمي القلوب فيجترأ بذلك على الله تعالى؟!.

كيف يمكن أنْ يكون الله عز وجل حكيماً، ـ وهو الذي لا يصنع العبث ـ، ثم بعد ذلك يرمي بعبده الذي كتب عليه الكفر فيدخله النار فيجعله مع عدوه أبي لهب.

ألا يحتج أبو طالب يوم القيامة على خالقه فيقول: ما ذنبي وقد قضيت علي يا رب بالكفر ثم تعذبني بنارك.

كيف يا ربي وأنت المحسن الذي يجازي الإحسان بالإحسان، أن تعذبني بنارك وقد أفنيت عمري وأنا أحسن إلى حبيبك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣].

أليس القول بأن أبا طالب عليه السلام أسلم ولكن لم يظهر إسلامه وتظاهر لقريش بأنه مازال على دينهم من أجل أن يقوم بحماية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع عنه الأذى، هو أصدق للعقل، واسلم للقلب، وأرضى للرب،

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي كان يؤذيه التقليل من شأن عمه أبي طالب عليه السلام فكيف بمن يصفه بالكفر ـ والعياذ بالله ـ.

ألم يقرأ ابن كثير وغيره ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتألم ويتأذى حينما يُذْكَر أبو طالب بسوء، حتى وان كان القائل هو عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وهو جريح بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم.

ألم يقرأ ابن كثير وغيره ممن يصفون أبا طالب بالكفر، قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

فانظر أخي القارئ بعين الإيمان والإنصاف إلى حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف تألم حينما أراد عبيدة بن الحارث ــ عن دون قصد ــ التقليل من شأن أبي طالب عليه السلام في هذه الحادثة وهي كالآتي:

روي أنه «لما أصيب عبيدة بن الحارث يوم بدر حمله عمه حمزة وعلي بن أبي طالب عليهما السلام وأتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إليه رسول الله واستعبر، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي أنت وأمي ألست شهيداً.

فقال:

«**بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي**».

قال: أما لو كان عمك حيا لعلم أني أولى بما قال منه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

وأي أعمامي تعني؟.

فقال : أبو طالب حيث يقول عليه السلام :

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرع حوله وننذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة.

فقال : يا رسول الله أسخطت عليّ في هذه الحالة؟!.

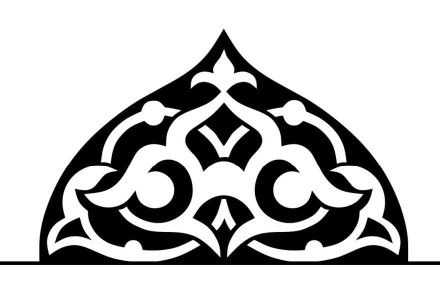
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك»[1].

فكيف كان حاله صلى الله عليه وآله وسلم وانقباضه حينما يصف ابن كثير وغيره أبا طالب بالكفر والعياذ بالله. لاسيما وأنّ الكثيرين على هذا الاعتقاد، بل يسعون في إضلال المسلمين به ونشره بينهم.

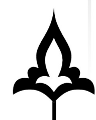
(١) تفسير القمي : ج ١ ، ص ٢٦٦. بحار الأنوار : ج ١٩ ، ص ٢٥٥. التفسير الصافي للفيض الكاشاني : ج ٢ ، ص ٢٨١. تفسير نور الثقلين للحويزي : ج ٢ ، ص ١٣٢. الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى : ج ٥ ، ص ٤٧. وجاء فيه : «وفي شرح النهج للمعتزلي : ج ١٤ ، ص ٨٠ : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، استغفر له ولأبي طالب يومئذ. وفي الغدير : ج ٧ ، ص ٣١٦. وفي نسب قريش لمصعب : ص ٩٤ ، أن عبيدة قال : يا رسول الله يا ليت أبا طالب حيٌّ حتى يرى مصداق قوله ، الخ..».

فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها على قلب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



المبحث الخامس

تـــدخل الحكام وأشياعهم في تدوين السيرة النبوية وسعيهم في تغيـير الحقائق ومنها حقيقة إسلام أبي طالب عليه السلام





إنّ من المآسي التي حلت بالإسلام هو تعرض سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته لتدخل الخلفاء وأشياعهم فدونت بعض أجزائها حسبما يخدم المصالح الشخصية لهذا الخليفة أو ذاك، ناهيك عن تأثرها بالأجواء التي أضفتها أحداث السقيفة وما أعقبها من تكتلات داخل المجتمع المدني لتتوسع إلى الشام والعراق.

كما انّ التاريخ الإسلامي هو أيضاً لم يكن بمنأى عن تلك التدخلات سواء على مستوى السلطة الحاكمة، أو على مستوى المصنّف، أو الرواة الذين أُخِذَ عنهم سير الحدث.

والشواهد على هذه الحقيقة المفجعة كثيرة جداً.

فأما سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد تصدى لتدوينها مجموعة من المؤرخين اهتموا بادئ الأمر بذكر المغازي والحروب وهو ما يكشف عن تأثر المجتمع العربي بهذه الأجواء التي تدخلت في تعميقها أمور كثيرة.

منها:

١ ـ ما كان موروثاً اجتماعياً غلب عليه الطابع القبلي الذي امتازت به مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام.

٢ ـ ومنها ما كان تبعاً طبيعياً لما شهدته الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحداث عصيبة، وهذا أخطر من الأول، لاجتماع عدة عوامل في ظهوره، كالعامل العشائري، والديني، والسياسي، والشخصي.

وتبعاً لتلك العوامل فانّ تدوين السيرة النبوية تأثر بها أشد التأثير، والشواهد على ذلك كثيرة نعرض لها في المسائل الآتية:

المسألة الأولى:

دور حكام بني أمية وأشياعهم في تدوين السيرة النبوية والتلاعب بها

إنّ أول محاولة لجمع السيرة وتدوينها ومن ثم نسخها كانت في زمن الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان حسبما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات، فقال: «قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجاً سنة ٨٢ هـ، فأمر أبان بن عثمان بن عفان[١] ان يكتب له سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه.

(١) أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنين ثم عزله عنها؛ عده الرازي في المدينين، وقد روى عنه أبو الزناد وبنيه بن وهب وعبدالله بن أبي بكر والزهري. مات بالفالج في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٥ هـ.

راجع: «الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٥١ ــ ١٥٢؛ الجرح والتعديل للرازي: ج ٢، ص٢٩٥؛ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص ١١١؛ تقريب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٥١؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٨٤.

فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به. فأمر سليمان عشرة من الكُتّاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وفي بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا!.

فقال أبان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فخرق، ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب.

فقال عبد الملك: «وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها؟!.

قال سليمان: فلذلك أمرت بتخريق ما نسخته»[(١)].

والحادثة التي مرّ ذكرها لا تحتاج إلى تعليق، فهي واضحة الدلالة في تدخل حكام بني أمية في تدوين السيرة النبوية؛ ويا ليت ان الأمر اقتصر على التدخل في كتابتها، بل حرق هذه السيرة وإتلافها لكونها لم تتضمن بين ثناياها أي ذكر لبني أمية في مواضع الخير التي حفت بها سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وما أدري ما هو ذنب السيرة إذا كان بنو أمية قد تعاقدوا مع الشر فكانوا حضوراً معه أينما حضر؛ هذا من جانب.

---

(١) الموفقيات للزبير بن بكار: ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

والجانب الآخر: إذا كانت السيرة النبوية في زمن عبد الملك بن مروان ينتهي بها الحال إلى الحرق لخلوها من ذكر طيب لآل عبد الملك بن مروان فكيف يكون حالها وهي تضم مناقب بني هاشم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولذلك: كانوا إذا مرّ بهم حديث فيه ذكر لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتعاملون معه تعاملاً خاصاً يدل عليها الشاهد الآتي:

روى أبو الفرج الأصفهاني: «إنّ خالداً القسري[1] ـ وهو أحد ولاة بني أمية ـ طلب من أحد الرواة أن يكتب له السيرة فقال الكاتب: فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، أفأذكره؟.

---

(١) خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرزة، أبو الهيثم البجلي القسري، أمير مكة للوليد بن عبد الملك، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك وهو من أهل دمشق.

«تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ١٦، ص ١٣٥».

قال الذهبي عنه في الكاشف: «ناصبياً عَذّبَ وقَتَلَ».

«الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة: ج ١، ص ٣٦٦».

وقال في السير نقلاً عن ابن خلكان: «كان يتهم في دينه، بنى لامه كنيسة تتعبد فيها، وفيه يقول الفرزدق:

ألا قبح الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كان أمه ... تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لامه ... ويهدم من بغض منار المساجد

«سير أعلام النبلاء: ج ٥، ص ٤٢٧».

وقال الذهبي في ميزانه وفي تاريخ الإسلام: «ناصبي بغيض ظلوم، قال ابن معين: رجل سوء يقع في علي». «ميزان الاعتدال: ج ١، ص ٦٣٣؛ تاريخ الإسلام: ج ٨، ص ٨٣؛ الوافي بالوفيات للصدفي: ج ١٣، ص ١٥٦».

فقال خالد: لا، إلاّ أن تراه في قعر جهنم»[١].

والسؤال المطروح هو: أفبعد هذا البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام كيف يكون حال أبيه، أبي طالب عليه السلام في عقول بني أمية؟ ألا تغلي أدمغتهم بضحضاح نار حقدهم على أبي طالب عليه السلام.

إذن:

هذا هو حال تدوين السيرة النبوية في عصر ملوك بني أمية، وهي أي هذه السيرة ترتبط بمن يقولون أنهم من أتباع دينه فكيف تكون عندهم سيرة من لا يعتقدون به؟ وكيف تكون سيرة من يبغضونه كل هذا البغض الذي دلت عليه الرواية.

المسألة الثانية:

دور حكام بني العباس في تدوين السيرة النبوية

بعد أن انتهت محاولة كتابة السيرة النبوية في حكم عبد الملك بن مروان بتلك النهاية المفجعة فضاعت معها معالم أمةٍ كاملةٍ وأحرقت انجازات الرسالة المحمدية في حقبة أسياسية لقيامها، وهي بيعة العقبتين، ومعركة بدر مع مالهما من الخصوصية التي أظهرتها الآيات القرآنية، فمع كل هذا وغيره، فانّ حال تدوين السيرة النبوية في دولة بني العباس وما تلاها إلى يومنا هذا لم يكن أفضل مما كان عليه في العهد الأموي.

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ج ٢٢، ص ١٥، من رواية المدائني؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٥٣.

غير أنّ الفارق بين العصر الأموي والعصور التي تلته ــ فضلاً عن تدخل السلطة العباسية ــ هو تعرض شيخ كتاب السيرة رحمه الله ورواته الثلاثة إلى هجمات متتالية منذ أن بدأ يحدث الناس عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى هذا الوقت.

متى كتبت السيرة النبوية في دولة بني عباس

إنّ أول من كتب السيرة النبوية في هذه الحقبة الزمنية بشكل منظم ومرتب جمع فيه المغازي والسيّر هو محمد بن إسحاق، حتى لقب بـ«شيخ كتاب السيرة». وصار من كتب بعده عيالاً عليه[١]، وقد روى ابن سعد قائلاً: «كان ابن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرج من المدينة قديماً فلم يروِ عنه أحد منهم غير إبراهيم بن سعد وأتى ــ ابن إسحاق ــ أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب»[٢].

وقد حاول البعض إثارة الكثير من التساؤلات حول ابن إسحاق لأغراض متعددة. مما دعا أحد كتاب السيرة النبوية وهو ابن سيد الناس أن يضع مقدمة في أول كتابه[٣] تضمنت جميع الآراء والتساؤلات التي دارت حول هذه الشخصية لأجل دفع هذه الآراء وبيان صحة ما يرويه ابن إسحاق في السيّر والمغازي لكونها الأصل الذي يعتمد عليه في السيرة النبوية.

(١) السير والمغازي لابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار: المقدمة ص ٩، ط دار الفكر.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٤٨، ط مؤسسة الرسالة.

(٣) عيون الآثر: ص ١٩ ـ ٢٦، ط مؤسسة عز الدين.

المسألة الثالثة:

دور ابن هشام في تغيير السيرة النبوية

لم تنتهِ الحملة التي شنت على سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة مصنّفها محمد بن إسحاق.

فبعدما انتقل إلى جوار ربّه، روى عنه ثلاثة من الرواة وهم كل مِن:

١ ـ يونس بن بكير.

٢ ـ زياد بن عبدالله البكائي.

٣ ـ محمد بن سلمة الحراني.

وتعود السيرة التي بين أيدينا إلى زياد بن عبدالله البكائي وقد روى عنه ابن هشام حتى باتت السيرة النبوية اليوم تعرف باسمه؛ وابن هشام هو: أبو محمد عبدالله بن هشام بن أيوب، الحميري، المعافري، الذهلي، البصري المولد، والمصري النشأة والوفاة[1].

له مصنفات منها «كتابٌ في أنساب حمير وملوكها، وكتابٌ في شرح ما وقع في أشعار السيّر من الغريب، وكتابٌ في قصص الأنبياء، وكتاب التيجان. فضلاً عن جمعه للسيرة النبوية التي تدخل في تدوينها بشكل كبير دل عليه قوله واعترافه بذلك حينما ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أنظر ترجمة ابن هشام: «وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٣، ص ١٧٧؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٩، ص ١٤٢؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١٥، ص ٢٨١.

فقال:

«وانا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ـ ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ــ إلى أن يقول ــ : وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، «وأشياء بعضها يشنع الحديث به!!» «وبعضها يسوء بعض الناس ذكره»!!. وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته»[(١)].

ولقد أقرّ كثير من الحفاظ بتدخل ابن هشام في تدوين السيرة النبوية فحذف منها ما شاء.

فقد قال الصفدي: «نقحها وحذف جملة من أشعارها»[(٢)].

وقال ابن خلكان: «جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذبها ولخصها»[(٣)].

وقال الذهبي: «سمعها من زياد بن عبدالله صاحب ابن إسحاق ونقحها وحذف جملة من أشعارها»[(٤)].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ٢؛ السير والمغازي لابن إسحاق، بتحقيق سهيل زكار: ص ١٥، من المقدمة.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٩، ص ١٤٢.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٣، ص ١٧٧.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١٥، ص ٢٨١.

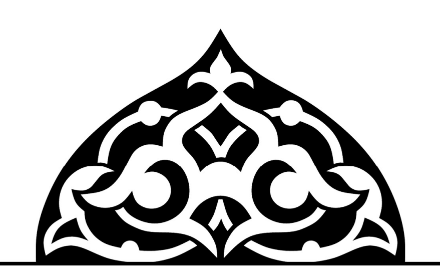
وقال ابن كثير: «وانما نسبت إليه، فيقال سيرة ابن هشام، لانه هذبها، وزاد فيها، ونقص منها، ومرر أماكن، واستدرك أشياء»(١).

والسؤال المطروح هو: أفبعد هذا التدخل الواضح في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرضها لهذه الهجمة من الحذف والطمس وتضييع الحقائق، كيف سيطمئن المسلم إلى أن كثيراً مما «يسوء بعض الناس ذكره» كان فيه بيان لحقيقة إيمان، أو نفاق كثير من الشخصيات الإسلامية التي لعبت يد السلطة في إبرازها في المجتمع؟!.

أو لعل «مما يسوء بعض الناس ذكره» هو امجاد بني هاشم، وشيخهم أبي طالب عليه السلام، مما دفع ابن هشام إلى تركه وحذفه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

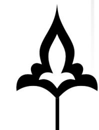
وعليه: كيف ينقاد دعاة السلطة وأرباب المصالح إلى حقيقة إسلام أبي طالب رضوان الله تعالى عليه وذكره سيسوء شانئي علي بن أبي طالب عليه السلام؟.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج ١٠، ص ٣٠٨.



المبحث السادس

تصريح العترة النبوية عليهم السلام بإيمان أبي طالب





وعند العودة إلى نتيجة البحث في إسلام أبي طالب عليه السلام فان الدين والعقل يلزماننا بالرجوع إلى عترة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لمعرفة حقيقة الأمور.

وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب[1] وإسلامه عليه السلام وقد جاءت في ذلك نصوص صريحة بطرق كثيرة صحيحة متصلة بهم صلوات الله عليهم ونبدأ بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يرثي أباه بعد موته:

أبا طالب عصمة المستجير	**وغيث المحول ونور الظلم**
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ	**فصلى عليك ولي النعم**
ولقاك ربك رضوانه	**فقد كنت للطهر مِنْ خير عم[2]**

(١) راجع في ذلك أقوال علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام: الطبرسي في مجمع البيان: ج ٢، ص٢٨٧؛ ابن معد الفخار في كتاب الحجة: ص ١٣؛ الفتال في روضة الواعظين: ص ١٢٠؛ السيد ابن طاووس في الطرائف: ص ٨٤، ص ٨٧؛ العلامة المجلسي في البحار: ج ٩، ص ٢٩.
ومن غيرهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بقوله: اختلف الناس في أبي طالب فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلاّ مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي، وأبو جعفر الاسكافي، وغيرهما، «شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٣١١».

(٢) التذكرة لسبط ابن الجوزي: ص ٦؛ كتاب الحجة لابن الفخار: ص ٢٤؛ منتهى الآمال للشيخ عباس القمي: ج١، ص١١٠؛ البحار: ج٣٥، ص١١٤؛ مستدرك سفينة البحار للشاهرودي: ج ٥، ص ٤٥٩؛ الدر النظيم ابن أبي حاتم العاملي: ص ٢١٩.

أما ما ورد من الأحاديث فكثيرة جداً وقد اقتصرنا على اثني عشر حديثاً بعدد أئمة العترة عليهم السلام خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمته.

١ ـ عن الإمام السبط الحسين بن علي عليه السلام عن والده أمير المؤمنين انه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له:

يا أمير المؤمنين انك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار؟!.

فقال له:

مه فضّ الله فاك!، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض شفّعه الله، أأبي معذّب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟!.

والذي بعث محمداً بالحق انّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمد ونور علي ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة إلاّ أن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام[1].

٢ ـ عن مولى المؤمنين وأميرهم علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

«**والله ما عبد أبي ولا جدي عبدالمطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قطّ**».

---

(١) الأمالي للطوسي: ص ٣٠٥؛ تفسير البرهان: ج ٣، ص ٧٩٤؛ الغدير للعلامة الأميني: ج ٧، ص ٣٨٧، وقد جاء فيه قوله رحمه الله ببقية المصادر: المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان. كنز الفوائد للكراكجي: ص ٨٠؛ كشف الغمة للأربلي: ج ٢، ص ٤٢؛ أمالي ابن الشيخ: ص ١٩٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٢٨.

قيل له: فما كانوا يعبدون؟.

قال:

كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به[1].

٣ ـ عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين انه قال:

كان والله أبو طالب بن عبدالمطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافةً على بني هاشم ان تنابذها قريش[2].

٤ ـ روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه قيل له: من كان آخر الأوصياء قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **أبي**[3].

٥ ـ سُئِل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن أبي طالب، أكان مؤمناً؟.

فقال: **نعم.**

فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافرٌ؟!.

---

(١) إكمال الدين للصدوق: ص ١٧٥؛ تفسير البرهان للسيد البحراني: ج ٣، ص ٩٥؛ الغدير للعلامة الأميني: ج ٧، ص ٣٨٧؛ بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١٤٥؛ الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملي: ص ٢٢١.

(٢) الغدير للأميني: ج ٧، ص ٣٨٨، وجاء فيه: ذكر أيضاً في كتاب الحجة: ص ٢٤؛ وسائل الشيعة «آل البيت عليهم السلام» للحر العاملي، باب: جواز التقية: ج ١٦، ص ٢٣٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١١٤؛ جامع أحاديث الشيعة للبروجردي: ج ١٤، ص ٥٨٣؛ الغدير للعلامة الأميني: ج ٧، ص ٣٨٩؛ إيمان أبي طالب لشيخ الأميني: ص ٨٢.

فقال عليه السلام:

وا عجباً كل العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد نهاه الله تعالى أن يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات، فانها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب عليه السلام(١).

٦ ـ عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام: سيدي ان الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه؟!.

فقال عليه السلام:

كذبوا والله إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كفة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم(٢).

٧ ـ عن عبد الرحمن بن كثير انه قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن الناس يزعمون أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار؟!.

فقال:

كذبوا، ما بهذا نزل جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: وبِمَ نزل؟!.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ٦٩؛ البحار: ج ٣٥، ص ١١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٢١١؛ الغدير للأميني: ج ٧، ص٣٨٩ ـ ٣٩٠.

قال:

أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إن ربك يُقرئك السلام ويقول لك إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين.وان أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة.

ثم قال:

كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب[١].

٨ ـ عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: يا يونس:

ما يقول الناس في أبي طالب؟.

قلت: فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أم رأسه.

فقال ـ عليه السلام ـ:

كذب أعداء الله، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[٢].

(١) البحار: ج ٣٥، ص ١١٢؛ الجواهر السنية للحر العاملي: ص ٢١٩؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١٤، ص ٧٠؛ الوسائل للحر العاملي: ج ١٦، ص ٢٣١؛ الخرائج والجرائح للراوندي: ج ٣، ص ١٠٧٨.

(٢) البحار: ج ٣٥، ص ١١١؛ الغدير للأميني رحمه الله: ج ٧، ص ٣٩٣؛ كنز الفوائد للكراكجي: ص ٨٠؛ كتاب الحجة: ص ١٧؛ مستدرك سفينة البحار: ج ٦، ص ٤٤٧؛ مستدركات علم الرجال لعلي النمازي: ص ٣١٥.

٩ ـ عن درست بن أبي منصور انه سأل الإمام الكاظم عليه السلام: أكان رسول الله محجوباً بأبي طالب؟.

فقال:

لا ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه.

قلت: فما كان حال أبي طالب؟.

قال:

اقرّ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه(١).

قال العلامة الأميني قدس سره:

هذه مرتبة فوق مرتبة الإيمان فإنها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجّية في وقته فضلاً عن بسيط الإيمان وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حد ظن السائل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان محجوباً قبل بعثه، فنفى الإمام ذلك واثبت ما ثبت له من الوصاية وانه كان خاضعاً بالإبراهيمية الحنيفية، ثم رضخ للمحمدية البيضاء فسلم الوصايا للصادع بها، وقد سبق إيمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البارّ(٢) صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) الكافي للكليني باب بلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته: ج ١، ص ٤٤٥؛ العدد القوية لعلي بن يوسف الحلي: ص ٦٩؛ البحار: ج١٧، ص ١٤٠؛ الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ١٠٩؛ مجمع البحرين للطريحي: ج ١، ص ٤٦١.

(٢) الغدير للأميني: ج ٧، ص ٣٩٤؛ إيمان أبي طالب للشيخ الأميني: ص ٨٩.

١٠ ــ روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله عن آبائه عليهم السلام بعدة طرق: ان نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان:

«**رضيت بالله رباً وبابن أخي محمد نبياً، وبابني علي له وصياً**»[١].

١١ ــ روى الشيخ الحر العاملي قدس سره بالإسناد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام:

«**ان الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً وشيعة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب عليه السلام.**

ثم قال:

وان أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمان[٢].

فهذه أثنا عشر حديثاً مروياً عن العترة النبوية عليهم السلام وهي تنص على إيمان أبي طالب عليه السلام وهي نصوص لا تقبل الشك في ثبوت إيمان شيخ الأبطح وحامي النبوة وكفيل صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الغدير: ج ٧، ص ٣٩٥، نقلاً عن كتاب: تضمير أبو الفتوح الرازي: ج ٤، ص ٢١١؛ الدرجات الرفيعة للمدني: ص ٦٠؛ إيمان أبي طالب للشيخ الأميني: ص ٨٩.

(٢) الجواهر السنية للحر العاملي: ص ٢١٩؛ الحجة على الذاهب للسيد فخار بن معد: ص ٣٦٢؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣٥، ص١٣٦؛ الغدير للشيخ الأميني: ج ٧، ص ٣٩٥؛ الخصائص الفاطمية للكجوري رحمه الله: ج ٢، ص ٧٨.

ناهيك عن ما روي من أحاديث تكشف عن عظم منزلة أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبخاصة تلك الأحاديث التي تخبر عن الحالة التي أصبح عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي وأمي بعد وفاة عمه وكفيله أبي طالب عليه السلام.

١٢ ـ أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق بإسناد له: ان عبد العظيم بن عبدالله العلوي الحسني[1] المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه

(١) ترجم له السيد أبو القاسم الخوئي بقوله:

عبد العظيم بن عبدالله بن علي بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو القاسم له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام.

قال أبو عبدالله الحسين بن عبدالله: حدثنا جعفر بن محمد أبو القاسم، قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، قال: حدثنا احمد بن محمد بن خالد البرقي، قال: كان عبد العظيم ورد الري هارباً من السلطان، سكن سرابا في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي، فكان يعبد الله في ذلك السرب، ويصوم نهاره، ويقوم ليله فكان يخرج مستتراً فيزور القبور المقابل قبره، وبينهما الطريق، ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام.

فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرفه أكثرهم فرآى رجل من الشيعة في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال له: إن رجلاً من ولدي يحمل من سكة الموالي ويدفن عند شجرة التفاح في باغ (بستان) عبد الجبار بن عبد الوهاب، وأشار إلى المكان الذي دفن فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها، فقال له: لأي شيء تطلب الشجرة ومكانها؟ فأخبره الرؤيا، فذكر صاحب الشجرة أنه كان رأى مثل هذه الرؤيا، وأنه قد جعل موضع الشجرة مع جميع الباغ (البستان) وقفاً على الشريف والشيعة يدفنون فيه، فمرض عبد العظيم ومات رحمة الله عليه.

فلما جرد ليغسل وجد في جيبه رقعة فيها ذكر نسبه، فإذا فيها: أنا أبو القاسم عبد العظيم بن ←

عبدالله بن علي بن الحسين بن زيد (ابن علي) بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
«معجم رجال السيد الخوئي: ج ١١، ص ٥٠».
وقد عده الشيخ الطوسي رحمه الله: من أصحاب الإمامين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري عليهما السلام. «رجال الطوسي: برقم ٥٧٠٦ / ١ و٥٨٧٥ / ٢٠».
وقال السيد التفريشي: روى عنه سهل بن زياد الآدمي، وأبو تراب عبيد الله الحارثي.
وقال الصدوق: في من لا يحضره الفقيه في الجزء الثاني، باب صوم يوم الشك، في ذيل الحديث ٣٥٥، وهذا حديث غريب لا أعرفه إلا من طريق عبد العظيم بن عبدالله الحسني المدفون بالري في مقابر الشجرة وكان مرضيا ـ رضي الله عنه ـ.
روى (عبد العظيم الحسني) عن الحسن بن الحسين العمري، وروى عنه محمد بن خالد البرقي.
كما في كامل الزيارات: الباب ٢٥، في ما جاء في قاتل الحسين وقاتل يحيى بن زكريا عليهما السلام، الحديث ١٠.
وروى عن عمر بن رشيد، وروى عنه عبيد الله بن موسى، تفسير القمي: سورة الجاثية، في تفسير قوله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾.

قال السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: «ثم أن الصدوق روى عن علي بن أحمد، قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوي ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عمن دخل على أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام، من أهل الري، قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فقال: أين كنت؟ قلت: زرت الحسين عليه السلام، قال: أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين عليه السلام.
«ثواب الأعمال: في ثواب زيارة عبد العظيم الحسني بالري».
ورواه جعفر بن قولوية، عن بعض أهل الري. «كامل الزيارات: الباب ١٠٧، في فضل زيارة قبر عبد العظيم الحسني، الحديث ١».
قال السيد الخوئي قدس سره: هذه الرواية تنفي ما تقدم عن الشيخ في رجاله، من عد عبد

السلام: عرفني يا بن رسول الله عن الخبر المروي: ان أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه؟!.

→

العظيم من أصحاب أبي محمد عليه السلام لكن الرواية ضعيفة لجهالة الراوي عن الإمام عليه السلام، وقد تقدم عدم ثبوت ذلك عن الشيخ.

ثم ان المحدث النوري ـ قدس سره ـ ذكر في شرح المشيخة، في الفائدة الخامسة من الخاتمة، في ترجمة عبد العظيم من طريق الصدوق، من مستدركه رسالة عن الصاحب بن عباد في ترجمة عبد العظيم، وفيها: روى أبو تراب الروياني، قال: سمعت أبا حماد الرازي يقول:

دخلت على علي بن محمد عليهما السلام، بسر من رأى فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها فلما ودعته قال لي: يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناصيتك فسل عنه عبد العظيم بن عبدالله الحسني وأقرئه السلام (انتهى).

قال السيد الخوئي قدس سره: هذه الرواية أيضاً ضعيفة ولا أقل من جهة الإرسال.

ثم انه حكي عن الشهيد الثاني ـ قدس سره ـ أنه قال في تعليقه على الخلاصة: هذا هو عبد العظيم المدفون في مسجد الشجرة في الري وقبره يزار، وقد نص على زيارته الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: من زار قبره وجبت له الجنة، روى ذلك بعض النسابين.

قال قدس سره: المتحصل من كلمات أصحابنا أن عبد العظيم لم يدرك الرضا عليه السلام فضلاً عن أن يكون متوفى في حياته، فما ذكره النسابون، وهم جزما. فهذه المرسلات غير قابلة للتصديق، نعم في كتاب الاختصاص، في موعظة نافعة رواها عن عبد العظيم، قال وروى عن عبد العظيم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: يا عبد العظيم، ابلغ عني أوليائي السلام.. الحديث.

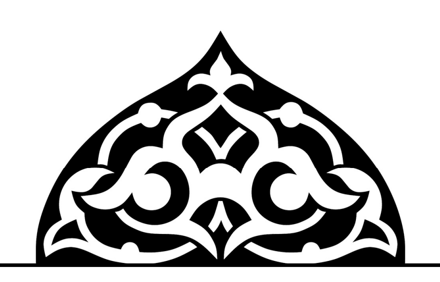
فإن مقتضى هذه الرواية أدرك عبد العظيم الرضا عليه السلام، إلا أنه لا اعتماد عليها ولا أقل من جهة الإرسال، والذي يهون الخطب جلالة مقام عبد العظيم وإيمانه وورعه غنية عن التثبت في إثباتها بأمثال هذه الروايات الضعاف.

«معجم رجال الحديث ـ السيد الخوئي ـ ج ١١، ص ٥١ ـ ٥٤».

فكتب إليه الرضا عليه السلام:

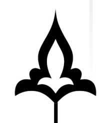
بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فانك ان شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[١].

(١) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد رحمه الله: ص ٤؛ كنز الفوائد للكراكجي: ص ٨٠؛ بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١١٠؛ الغدير للأميني رحمه الله: ج ٧، ص ٣٨١؛ مستدرك سفينة البحار لعلي النمازي: ج ٦، ص ٤٤٧؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١٤، ص ٦٨؛ الدرجات الرفيعة لطبقات الشيعة للسيد المدني: ص ٥٠؛ الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملي: ص ٢٢٠؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي قدس سره: ج ٢٩، ص ٦٠٩.



المبحث السابع

ما زال أبو طالب عليه السلام يدافع عن إيمانه حتى النفس الأخير





من القرائن التي تكشف عن حقيقة إيمان الإنسان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم هي اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان وهو يودع فيها هذه الحياة الدنيا لينتقل إلى الآخرة.

وغالباً ما يستغل الإنسان هذه اللحظات كي يوصي فيها أهله وعياله بما يهمه من أمر دينه ودنياه من جهة وما يهمه من أمر دين عياله ودنياهم فيختزل لهم في هذه اللحظات تجربة حقبة من الزمن مرت عليه فعاشها واستخلص منها العبر، انها لحظات لصورة حياة متكاملة.

لكن كيف كانت تلك اللحظات الأخيرة التي قضاها أبو طالب عليه السلام وهو يودع هذه الحياة بعد أن أبلى بلاءً حسناً في نصرة دين الإسلام؟ وكيف كان أثرها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ لا شك أنها لحظات ملؤها الألم والحزن والوحشة ضاق معها الفسيح في عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ينظر إلى ذلك الوجه الذي امتزج فيه النور مع الشيب فكان كالبلور الوهاج، بنظرة ملؤها الرقة والرحمة، فها هو الحصن المنيع راحل عنه إلى جوار ربّه، ثم يأتي هدير صوت أبي طالب عليه السلام كشلال تتصدع تحته الصخور وهو يخاطب الجالسين من حوله وقد

جاؤوا ملبين طلبه في حضورهم يستمعون إلى كلماته الأخيرة قائلاً :

«يا معشر قريش: أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلاّ أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب؛ وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ أي الكعبة ـ فان فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم مسناة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيها هلكة القرون قبلكم، أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل فان فيها شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة فان فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام.

وأني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به[1] وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وايم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، واصفة له فؤادها وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش! ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

(١) أي الفضائل التي ذكرها ومكارم الأخلاق التي عدّها.

والله لا يسلك سبيله أحد إلا رشد، ولا يأخذ احد بهديه إلا سعد.

ولو كان لنفسي مدّة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي[١]. ثم قال لبني هاشم خاصة وأحلافهم من قريش:

«إن محمداً نبي صادق، وأمين ناطق، وان شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوه من وراء موضته، فانه الشرف الباقي لكم طول الدهر ثم انشأ يقول:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده ... علياً ابني وعمّ الخير عباساً

وحمزة الأسد المعشي صولته ... وجعفراً ان يذودا دونه الناساً

وهاشماً كلها أوصي بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم امراساً

كونوا فداءً لكم أمي وما ولدت ... من دون أحمد عند الروع اتراسا

بكل أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباساً[٢]

وهذه الأبيات توحي بما خالج قلب أبي طالب عليه السلام من الخوف والقلق على سلامة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا توجه بكلامه إلى بنيه علي وجعفر، وأخوته حمزة والعباس لكي يقوموا بمهمة الدفاع عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ولكي تكون هذه اللحظات الأخيرة من حياة أبي طالب صفحة

---

(١) تاريخ الخميس: ج ١، ص ٣٣٩؛ السيرية الحلبية: ج ٢، ص ٤٩؛ المواهب اللدنية: ج ١، ص ٧٢؛ الغدير: ج ٧، ص ٣٦٦؛ بهجة المحافل للعامري الحمصي «مخطوط» يرقد في مكتبة الأسد بدمشق برقم «١٣٤٧».

(٢) الغدير للعلامة الأميني: ج ٧، ص ٤٠٠، نقلاً عن ضياء العالمين للفتوني.

يسجل فيها أسمى درجات الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتركها تمر دون ان تشهد بعضاً من الكلمات المعبرة عن الإيمان الصادق، واليقين الراسخ بما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكي يعلم الحاضرون ومن يأتي بعدهم من الأجيال ان أبا طالب كان يدافع عن إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويجاهد في سبيلهما حتى النفس الأخير.

وهو في الوقت نفسه لم يجعل تلك اللحظات الأخيرة تذهب من يديه دون أن يؤكد على ولديه وأخوته أن يقوموا بحماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنه.

وفاته وتشيعه عليه السلام

وهكذا تبدأ اللحظات الأخيرة تسير بعجل لتطوي هذه الصفحات من الجهد والجهاد والتضحية والإيثار لتنتقل هذه الروح الطاهرة إلى بارئها وهي تحمل ﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

لكنَّ أبا طالب لم يكن وحيداً بل كان يحفُّ به أولاده وقد ملأ قلبهم الحزن والألم ثم بعد لحظات قليلة تفيض هذه الروح المطمئنة فتتحادر معها دموع الأحبة. فتوجع لموته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً.

ثم قال لأمير المؤمنين عليه السلام:

امضِ يا علي فتول أمره وتول غسله وتحنيطه وتكفينه فإذا رفعته على سريره فأعلمني.

ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ـ فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات فلما رفعه أمير المؤمنين عليه السلام على السرير اعترضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرق وتحزن وقال:

وصلتك رحمْ، وجزيت خيراً يا عم، فقد كفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً[١].

ثم أقبل على الناس وقال: أما والله لا شفعنّ لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين[٢].

ولم يصل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الصلاة لم تكن نزلت بعد ولهذا لم يصل على خديجة عليها السلام أيضاً.

رثاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ووجده عليه

لم يكن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في يوم من الأيام لينسى عمه الذي كان يحن إليه، ويذكر جهاده ودفاعه عنه، وهو يذود أعداء الله ليلاً ونهاراً.

(١) راجع في اعتراض النبي صلى الله عليه وآله وسلم جنازة أبي طالب وسيره معها وترحمه عليه؛ الطرائف لابن طاووس: ص ٣٠٥؛ المصنّف لعبد الرزاق: ج ٦، ص ٣٨؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٩، ص ٢٥٠؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ٢٣٥؛ كنز العمال: ج١٢، ص١٥٣؛ تاريخ الخطيب البغدادي: ج ١٣، ص ١٩٦؛ تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٣٥٤ـ ٣٥٥؛ الإصابة لابن حجر، ترجمة ابن عباس: ج ٧، ص ١٩٨؛ البحار: ج ١٩، ص ٢٠؛ منتهى الآمال لعباس القمي: ص٧٧.

(٢) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد قدس سره: ص ٢٦؛ اعلام الورى للطبرسي: ج ١، ص٢٨٢؛ البحار: ج ٢٢، ص ٢٦١؛ إيمان أبي طالب للأميني: ص ٧٧؛ الغدير: ج ٧، ص ٣٨٦؛ الفصول المختارة للشريف المرتضى: ص٨٠.

ولقد رثاه قولاً وعملاً ؛ فأما العمل : فقد لزم داره وأقل الخروج[(١)]. وأما القول : فقد سمى هذا العام بعام الحزن[(٢)].

وقال :

«اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعا»،

يعني مصيبة فقد خديجة وأبي طالب[(٣)].

ومع قلة خروجه إلاّ انّ قريش بالغت في أذاه فقال :

«ما نالت قريش مني شيئاً اكره حتى مات أبو طالب»[(٤)].

وقال :

«لأسرع ما وجدنا فقدك يا عم»[(٥)].

فانا لله وإنا إليه راجعون.

وقد رثاه سيد البلغاء والمتكلمين ولده علي أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الأبيات :

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ١ ، ص ٢١١ ؛ البداية والنهاية لابن كثير : ج ٣، ص ١٦٥ ؛ السيرة النبوية لابن كثير : ج ٢، ص ١٤٧ ؛ سبيل الهدى والرشاد للصالحي الشامي : ج ٢ ، ص٤٣٥ ؛ السيرة الحلية : ج ٢ ، ص ٤١.

(٢) السيرة الحلبية : ج ٢، ص ٤١ ؛ كشف الغمة للأربلي : ج ٢ ، ص ٢٩ ؛ الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملي : ص ١١١.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ، ص ٣٦.

(٤) امتاع الأسماع للمقريزي : ج ١ ، ص ٤٥.

(٥) الأمالي للشيخ الطوسي رحمه الله : ص ٤٦٤ ؛ حليلة الأبرار للسيد هاشم البحراني : ج ١ ، ص ١٤٠ ؛ البحار : ج ١٩ ، ص ٥٨.

أبـا طالـب عـصمة المـستجير وغيـث المحـول ونـور الظّلـم
لقـد هـدّ فقـدك أهـل الحفـاظ فـصلى عليـك ولـيّ الـنعم
ولقـــاك ربـــك رضـــوانه فقد كنت للطهر من خير عم[(١)]

وقال أيضاً:

أرقـت لنـوح آخـر الليـل غـرّدا يـذكّرني شـجواً عظيمـاً مجـدّداً
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى وذا الحلم لا خلفاً ولم يك قعددا
أخـا الملـك خلّـى ثلمـة سيـسدّها بنـو هاشـم أو يـستباح فيهمـدا
فامـست قـريش يفرحـون بفقـده ولـست أرى حيـا لـشيء مخلـدا
أرادت أمـوراً زينتهـا حلومهـا سـتوردهم يومـا مـن الغـيّ مـورداً
ويرجـون تكـذيب النبـي وقتلـه وان يفتـروا بهتـاً عليـه ويجحـداً
كـذبتم وبيـت الله حتـى نـذيقكم صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبـدأ منـا منظـر ذو كريهـة إذا مـا تـسربلنا الحديـد المـسرّدا
فإمـا تبيـدونا وإمّـا نبيـدكم واما تـروا سـلم العـشيرة أرشـدا
وإلاّ فـإنّ الحـي دون محمـد بنـو هاشـم خيـر البريـة محتـدا
وانّ لـه فـيكم مـن الله ناصـراً ولـست بـلاق صـاحب الله أوحـدا
نبـي أتـى مـن كـل وحـي بحظـة فـسماه ربـي فـي الكتـاب محمـدا
أغـر كـضوء البـدر صـورة وجهـه جـلا الغـيم عنـه ضـوؤه فتوقـدا
امـين علـى مـا اسـتودع الله قلبـه وان كـان قـولاً كـان فيـه مـسدّدا[(٢)]

---

(١) التذكرة لابن الجوزي: ص ٦؛ كحل البصر للشيخ عباس القمي: ص ٧٦؛ الغدير للأميني: ج٧، ص ٣٧٨؛ بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١١٤؛ الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملي: ص ٢١٨.

(٢) حلية الأبرار للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ٨٥ ـ ٨٦؛ الغدير: ج ٧، ص ٣٧٩؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٦٦، ص ٣٤٤؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي قدس سره: ج ٣٣، ص ٢٢٩.

وقال أيضاً عليه السلام يرثي خديجة أم المؤمنين وأباه أبا طالب عليهما السلام:

أعيني جواداً بارك الله فيكما — على هالكين ما ترى لهم مثلا
على سيد البطحاء وابن رئيسها — وسيدة النسوان أول من صلى
مهذبة قد طيب الله خيمها — مباركة والله ساق لها الفضلا
مصابهما أدجى إلى الجو والهواء — فبت أقاسي منهما الهم والثكلا
لقد نصرا في الله دين محمد — على من هي في الدين قد رعيا

ما خلف من الأبناء

أولاده الذكور

ألف ــ طالب بن أبي طالب

خلف أبو طالب من الأولاد الذكور أربعة، وهم طالب وكان أكبرهم وبه كان يكنى وقد غلبت الكنية على اسم أبي طالب، فعرف بين الناس بها، حتى ظن البعض ان هذا اسمه، في حين كان اسمه «عبد مناف»[٢].

وكان المشركون قد أخرجوا طالباً وسائر بني هاشم إلى بدر كرهاً وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**من قدرتم ان تأسروه من بني هاشم فلا تقتلوه، فإنهم خرجوا كرها**»[٣].

---

(١) منتهى الآمال للشيخ القمي: ص ٧٧؛ بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١٤٣؛ مستدرك سفينة البحار: ج ٤، ص ٧٣؛ الخصائص الفاطمية للكجوري: ج ٢، ص ٨١.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد: ج ١، ص ١٢١؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٤١، ص٨.

(٣) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ج ٣، ص ٢٣٥.

وكان بين طالب بن أبي طالب وبعض قريش محاورة فقالوا: «والله لقد علمنا يا بني هاشم وان خرجتم معنا ان هواكم لمع محمد»[١]، فخرج طالب وهو يقول:

يــا رب أمــا يغــزون بطالــب ‏ ‏ ‏ ‏ فــي مقنــب مــن هــذه المقانــب

فلــيكن المغلــوب غيــر الغالــب ‏ ‏ ‏ ‏ ولـيكن المـسلوب غيـر الـسالب[٢]

فلما انهزموا لم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا رجع إلى مكة ولا يدرى ما حاله وليس له عقب»[٣].

وقد روى الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال:

«لما خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا بني عبدالمطلب معهم، خرج طالب بن أبي طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز ويقول:

يــا رب أمــا يغــزون بطالــب ‏ ‏ ‏ ‏ في مقنب من هذه المقانب

وذكر الأبيات[٤].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أنه كان أسلم»[٥].

---

(١) عيون الأثر، ابن سيد الناس: ج ١، ص ٣٢٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٢١؛ الدر المنثور للسيوطي: ج ٣، ص ١٦٥؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤١، ص ٨؛ المجدي في أنساب الطالبيين، علي بن محمد العلوي: ص ٣١٨؛ تاريخ الطبري: ج ٢، ص ١٤٣؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٦، ص ٢٢٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٢١.

(٤) الكافي للكليني: ج ٨، ص ٣٧٥.

(٥) المصدر السابق.

وذكر القاضي المغربي: ان له أبيات يمتدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قائلاً:

وقد حل مجد بني هاشم	فكان النعائم والزهرة
ومحض بني هاشم احمد	رسول المليك على فترة
عظيم المكارم نور البلاد	حري الفؤاد صدى الزبرة
كريم المشاهد سمح البنان	إذا ضنّ ذو الجود والقدرة
عفيف تقي نقي الردا	طهر السراويل والأزرة
جواد رفيع على المعتقين	وزين الأقارب والأسرة
وأشوس كالليث لم ينهه	لدى الحرب زجرة ذي الزجرة
وكم من صريع له قد نوى	طويل التأوه والزفرة[١]

وكان بين مولد طالب وعلي أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة[٢].

باء ـ عقيل بن أبي طالب

روى ابن عقدة، عن ابن عباس، قال: «كان طالب أكبرهم سناً، ويليه عقيل، ويلي عقيلاً جعفر، ويلي جعفراً علي. وكل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وعلي أصغرهم سناً».

وذكر ابن سعد: ان أمهم جميعاً هي فاطمة بنت أسد بن هشام، وكان لعقيل بن أبي طالب من الولد يزيد، وبه كان يكنى، وسعيد وأمهما أم سعيد بنت عمرو بن يزيد، وجعفر الأكبر، وأبو سعيد الأحول ـ وهو اسمه ـ وأمهما أم البنين

(١) شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج ٣، ص ٢٤٥.

(٢) الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملي: ص ٢٢٧.

بنت الثغر، واسمها أسماء بنت سفيان أخت الضحاك بن سفيان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومسلم بن عقيل وهو الذي بعثه ـ الإمام ـ الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهما السلام ـ من مكة يبايع له الناس فنزل بالكوفة على هانئ بن عروة فأخذهما عبيد الله بن زياد فقتلهما جميعاً وصلبهما.

وعبدالله بن عقيل، وعبد الرحمن، وعبدالله الأصغر، وأمهم خليلة أم ولد؛ وعلي لا بقية له وأمه أم ولد؛ وجعفر الأصغر، وحمزة وعثمان، لأمهات أولاد.

ومحمد ورملة وأمهما أم ولد؛ وأم هانئ، وأسماء، وفاطمة، وأم القاسم، وزينب، وأم النعمان لأمهات أولاد شتى.

وكان عقيل بن أبي طالب فيمن أخرج من بني هاشم كرها مع المشركين إلى بدر فشهدها وأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه العباس بن عبدالمطلب.

وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد قال يوم بدر:

«انظروا من هاهنا من أهل بيتي من بني هاشم».

قال: فجاء علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فنظر إلى العباس ونوفل وعقيل ثم رجع فناداه عقيل: يا ابن أم علي، أما والله لقد رأيتنا.

فجاء علي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا رسول الله رأيت العباس ونوفلاً وعقيلاً.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قام على رأس عقيل فقال:

«أبا يزيد قتل أبو جهل».

قال: إذا لا ينازعوا في تهامة، إن كنت أثخنت القوم، وإلا فاركب أكتافهم.

وقيل: أن عقيل بن أبي طالب، قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: من قتلت من أشرافهم؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

قتل أبو جهل.

قال: الآن صفا لك الوادي[١].

ثم قال له عقيل: انه لم يبق من أهل بيتك أحد إلا وقد أسلم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

فقل لهم فليلحقوا بي.

فلما آتاهم عقيل بهذه المقالة خرجوا[٢].

وذكروا: ان العباس، ونوفلا، وعقيلاً رجعوا إلى مكة، أمروا بذلك، ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السقاية، والرفادة، والرئاسة؛ وذلك بعد موت أبي لهب، وكان السقاية، والرفادة، والرئاسة، في الجاهلية في بني هاشم، ثم هاجروا بعد إلى المدينة فقدموها بأولادهم وأهاليهم[٣].

قال ابن سعد: ورجع عقيل إلى مكة فلم يزل بها حتى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً في أول سنة ثمان فشهد غزوة مؤتة، ثم رجع فعرض

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٤، ص ٤٢ و٤٣؛ إحقاق الحق، المرعشي: ج ٣٣، ص٢٣٢؛ تاريخ ابن عساكر: ج ٤١، ص ١٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٤، ص ١٦.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٤، ص ١٦؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤١، ص ١٣.

له مرض فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ولا الطائف ولا خيبر ولا في حنين، وقد أطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر مائة وأربعين وسقا، كل سنة»[١].

ومات رضي الله تعالى عنه بعد ما عمي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وله عقب اليوم وله دار بالبقيع كثيرة الأهل والجماعة واسعة[٢].

ومما ورد فيه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«انك لتحب عقيلا»؟.

قال:

«أي والله إني لأحبه حبين، حباً له، وحباً لحب أبي طالب له، وان ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه دموع المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى جرت دموعه على صدره.

ثم قال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتي بعدي»[٣].

جيم ـ جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

ترجم له ابن سعد قائلاً: «كان لجعفر من الولد عبدالله وبه كان يكنى وله العقب من ولد جعفر، ومحمد وعون لا عقب لهما ولدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة في المهاجر إليها وأمهم أسماء بنت عميس.

(١) الطبقات لابن سعد: ج ٤، ص ٤٣.

(٢) الطبقات: ج ٤، ص ٤٤؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤١، ص ٩.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٩١؛ بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٨٨.

وأسلم جعفر بن أبي طالب قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم ويدعو فيها»[١].

وهذا يشير إلى أنه أسلم بعد أخيه علي وأبيه وخديجة فيكون بذلك رابع من أسلم. ومما يدل عليه:

١ ـ ما رواه الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أول جماعة كانت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه فقال:

يا بني صل جناح ابن عمك.

فلما أحسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

ان علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي

إلى أن قال فكانت أول جماعة جُمعت ذلك اليوم»[٢].

٢ ـ قال علي بن إبراهيم القمي رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٤، ص ٣٧.

(٢) الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملي: ص ٢٢٧.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩١.

قال: قسموا القرآن ولم يؤلفوه على ما أنزله الله، فقال:

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُـمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقوله:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[2].

فإنها نزلت بمكة بعد أن نُبِّئَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث سنين وذلك أن النبوة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دخل أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي وعلي بجنبه وكان مع أبي طالب عليه السلام جعفر فقال له أبو طالب:

«**صل جناح ابن عمك**».

فوقف جعفر على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتمون به فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3].

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢ و٩٣.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤ و٩٥.

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ج ١، ص ٣٧٧؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٣، ص ٢٦٨، الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص ٢٨٢.

وروى محمد بن إسحاق، قال: محمد بن عمر: إن أميرهم في الهجرة إلى أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب.

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر تلقاه جعفر بن أبي طالب فالتزمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل ما بين عينيه، وضمه إليه واعتنقه[١]، وقال:

«**ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر**»[٢].

وفاته رضي الله عنه

وكانت شهادته رضي الله تعالى عنه في مؤتة حينما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال:

«**أن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن قتل جعفر أو استشهد فأميركم عبدالله بن رواحه فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل**»[٣].

وكان عليه السلام أول من عرقب[٤] فرسه في الإسلام[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج ٤، ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج ٤، ص ٣٧.

(٤) هو سير مضفور في طرفه إبزيم يشد به ثغر الدابة في السراج.
«تاج العروس للزبيدي: ج ٢، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠».

(٥) الكافي للكيني: ج ٥، ص ٤٩.

أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه :

١ ـ حينما استشهد جعفر عليه السلام صلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له ثم قال :

«استغفروا لأخيكم جعفر فانه شهيد وقد دخل الجنة وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة»(١).

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم له :

«أشبهت خَلقي وخُلقي»(٢).

دال ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

وهو أصغر ولد أبي طالب عليهما السلام، وأمه فاطمة بنت أسد، ولما ولدته كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، وقال لها :

«اجعلي مهده بقرب فراشي».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويجعله على صدره(٣).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٢، ص ٤٨٧ ؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١١، ص ٧١ ؛ تاريخ دمشق ابن عساكر: ج ٢، ص ١٤.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي: ج ١، ص ٤٩٧ ؛ البحار للمجلسي: ج ٢٢، ص ٢٧٦ ؛ صحيح البخاري، كتاب الصلح: ج ٣، ص ١٦٨ ؛ سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٠ ؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج ٣، ص ١٢٠.

(٣) حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ٢٩.

وعن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «سمعت زيداً يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين، ويجعلهما في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره»[١].

وعن زيد بن علي قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ علياً من أبيه وهو صغير في سنة قحط أصابت قريشا، وأخذ حمزة جعفرا، وأخذ العباس طالبا؛ ليكفوا أباهم مؤونتهم، ويخففوا عنه ثقلهم، وأخذ هو عقيلا لميله كان إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اخترت من اختار الله لي عليكم؛ علياً**»[٢].

بناته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

ولأبي طالب من البنات ثلاثة، وهن: «أم هاني واسمها فاختة، وجمانة، وريطة» وأمهنّ جميعاً فاطمة بنت أسد، ويظهر من ذلك ان أبا طالب لم يتزوج عليها لكون جميع أبنائه ذكوراً وإناثاً منها رضوان الله تعالى عليها[٣].

ولفاطمة بنت أسد منزلة خاصة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تظهر من خلال ما أكرمها الله تعالى به من كرامة انشقاق جدار الكعبة ودخولها إلى جوف الكعبة حينما جاءها المخاض وهي حامل بعلي عليه السلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٣، ص ٢٠٠؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٣٨، ص ٣٢٤.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ج ٣٨، ص ٣٢٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٤٨.

فقد روي الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: «كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق.

فقالت: رب إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، لان آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرا في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف:

يا فاطمة، سميه عليا، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»[1].

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٩٤ ــ ١٩٥.

تواتر أخبار ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة

قال الحاكم النيسابوري: «وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة»[١].

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنف «التحفة الاثني عشرية في الرد على الشيعة» فقال في كتابه «إزالة الخفاء»: «تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليا في جوف الكعبة فإنه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده»[٢]. وقال الآلوسي: «وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة ـ إلى أن قال ـ: ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين»[٣].

أما منزلتها عند رسول الله ﷺ فتظهر من خلال ما قام به النبي الأكرم ﷺ من تعامل خاص معها حينما توفيت فقد كفنها بقميصه وحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها وتمدد في لحدها فقيل له في ذلك، فقال:

«إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان عليّ ويؤثراني على أولادهما فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها» [٤].

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٣، ص ٤٨٣.
(٢) نقلا عن كتاب الغدير للشيخ الأميني: ج ٦، ص ٢٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج ٤، ص ٣٧.

نتيجة البحث

بعد هذه الجولة بين مباحث الكتاب وما تمخض عنها من استدلالات عدة لترشد اللبيب إلى حقائق تتعلق بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشخصية أبي طالب عليه السلام ويمكن إجمالها بالآتي:

١ ـ ان حديث الضحضاح الذي رواه البخاري وغيره، هو حديث موضوع ومكذوب فيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناهيك عن كونه يصرخ بانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنزال الأذى به.

٢ ـ ان هذه المباحث قد أوقفت القارئ على حقيقة وقت إسلام أبي طالب عليه السلام، وتحديداً هو بعد إسلام خديجة وولده علي عليهم السلام فكان ثالث من أسلم.

٣ ـ انه كتم إسلامه لحكمة بالغة أثبتت نجاحها الإنجازات التي حققها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، كما ان الحال الذي أصبح عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة عمه وما أصابه من أذى كبير لخير دليل على حكمة أبي طالب في كتمانه إسلامه.

فلولا هذا التكتم الذي انتهجه أبو طالب عليه السلام لما قام هذا الدين ولقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قتل وصلب غيره من الأنبياء عليهم السلام.

٤ ـ ان نظرية سرية الدعوة النبوية خلال السنين الثلاث الأول هي نظرية مختلقة أفرزتها الأحداث التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسجتها بعض الأقلام التي أرادت التزلف لدى الحكام وأرباب السلطة لغرض

البقاء مدة أطول في الحكم من خلال دفع الناس عن التوجه إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ ـ أن السيرة النبوية الطاهرة قد تعرضت ـ ومازالت ـ لهجمات همجية ووحشية، بل هي أشد بشاعة من الهجمات التي تشن من أجل الإبادة العرقية على الأرض؛ فليس هناك أبشع من الجهل، والتضليل، وتحجير الفكر على الإنسان.

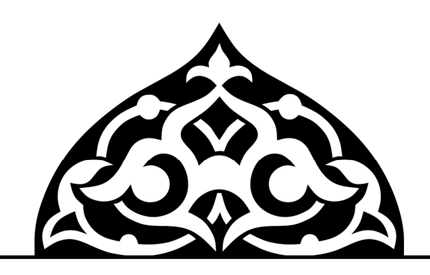
فلو علم أصحاب الفكر العرقي أو المذهبي وحشية، ما رسخ في أذهانهم وبشاعته لما قدموا على تضليل الناس وتحجير أفكارهم وسفك دمائهم.

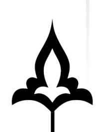
ولو علم المسلمون حقيقة ما تعرضت له سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته على أيدي أئمة الضلال، لماتوا أسفاً وكمداً، ولأيقنوا أنه لم يبق من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه»[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾[2].

(١) الكافي للكليني: ج ٨، ص ٣٠٨.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٣١ و٣٢.







فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

فهرس الأعلام

ـ ب ـ

فهرس الأعلام

- ج -

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**

٢. **نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)**: الطبعة الأولى دار الذخائر، قم - إيران لسنة ١٤١٢ هـ.

المصادر المخطوطة

٣. **بهجة المحافل للعامري الحمصي**: مخطوط في مكتبة الأسد، دمشق - سوريا.

٤. **شرف المصطفى للحافظ أبي سعيد الخركوشي**: مخطوط في مكتبة الأسد، دمشق - سوريا.

٥. **كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي**: نسخة مخطوطة.

٦. **نظم الدرر السنية في السيرة الزكية للحافظ العراقي**: مخطوط، مكتبة الأسد، دمشق - سوريا.

المصادر المطبوعة

ـ أ ـ

٧. **الأحاديث الطوال للطبراني**: الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٨. **الاحتجاج للشيخ الطبرسي**: طبعة دار النعمان، النجف الأشرف ـ العراق لسنة ١٣٨٦ هـ.

٩. **الاستيعاب لابن عبد البر : الطبعة الأولى دار الجيل، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٢ هـ.**

١٠. **أسد الغابة لابن الأثير**: طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١١. **الإصابة لابن حجر**: الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٥ هـ.

١٢. **أضواء البيان للشنقيطي**: طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٥ هـ.

١٣. **إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي**: الطبعة الأولى مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم ـ إيران لسنة، ربيع الأول ١٤١٧ هـ.

١٤. **الأعلام لخير الدين الزركلي**: الطبعة الخامسة دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان.

١٥. **الإفصاح للشيخ المفيد**: الطبعة الثانية دار المفيد، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٤ هـ.

١٦. **الإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي**: طبعة مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).

١٧. **الامالي للشيخ الصدوق**: الطبعة الأولى مركز الطباعة في مؤسسة البعثة، قم ـ إيران لسنة ١٤١٧ هـ.

١٨. **الأمالي للشيخ للطوسي**: الطبعة الأولى دار الثقافة، قم ـ إيران لسنة ١٣٧٦ هـ.

١٩. **امتاع الاسماع للمقريزي**: الطبعة الأولى منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٢٠ هـ.

٢٠. **أمل الآمل للحر العاملي:** مطبعة الآداب، النجف الأشرف ـ العراق.

٢١. **أنساب الأشراف للبلاذري:** الطبعة الأولى مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٣٩٤ هـ.

٢٢. **الأوائل للطبراني:** الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة دار الفرقان، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٣ هـ.

٢٣. **الأوائل للعسكري.**

٢٤. **إيمان أبي طالب للشيخ الأميني:** من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية.

٢٥. **إيمان أبي طالب للشيخ المفيد:** طبع دار المفيد، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٤هـ.

ـ ب ـ

٢٦. **بحار الأنوار للعلامة المجلسي:** الطبعة الثانية المصححة مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٣ هـ.

٢٧. **بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني:** طبعة المكتبة الحبيبية، باكستان لسنة ١٤٠٩ هـ.

٢٨. **البداية والنهاية لابن كثير:** الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٨ هـ.

٢٩. **البرهان للزركشي:** الطبعة الأولى دار إحياء الكتب العربية لسنة ١٣٧٦ هـ.

٣٠. **بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار:** طبعة منشورات الأعلمي، طهران ـ إيران لسنة ١٤٠٤ هـ.

٣١. **بلاغات النساء لابن طيفور:** طبعة مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران.

٣٢. **البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي:** الطبعة الرابعة دار الزهراء، بيروت ـ لبنان لسنة ١٣٩٥ هـ.

ـ ت ـ

٣٣. **تاج العروس للزبيدي:** طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٤ هـ.

٣٤. **تاريخ الإسلام للذهبي:** الطبعة الأولى دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٧ هـ.

٣٥. **تاريخ الطبري:** الطبعة الرابعة مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٣ هـ.

٣٦. **التاريخ الكبير للبخاري:** طبعة المكتبة الإسلامية، ديار بكر ـ تركيا.

٣٧. **تاريخ اليعقوبي:** طبعة دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٣٨. **تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:** الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٧ هـ.

٣٩. **تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:** طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٥هـ.

٤٠. **تخريج الأحاديث للزيلعي:** الطبعة الأولى دار ابن خزيمة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية لسنة ١٤١٤ هـ.

٤١. **التذكرة لسبط ابن الجوزي.**

٤٢. **التعجب لأبي الفتح الكراجكي:** طبع بتحقيق فارس حسون.

٤٣. **التفسير الآصفي للفيض الكاشاني:** الطبعة الأولى مكتب الإعلام الإسلامي لسنة ١٤١٨ هـ.

٤٤. **تفسير الآلوسي.**

٤٥. **تفسير البرهان للسيد البحراني.**

٤٦. **تفسير الثوري لسفيان الثوري:** الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٣هـ.

٤٧. **تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني:** الطبعة الأولى مكتبة الرشد للنشر، الرياض ـ المملكة العربية السعودية لسنة ١٤١٠ هـ.

٤٨. **تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي**: الطبعة الثالثة مؤسسة دار الكتب، قم ـ إيران لسنة، صفر ١٤٠٤ هـ.

٤٩. **تفسير فرات الكوفي لفرات بن إبراهيم الكوفي**: الطبعة الأولى مؤسسة الطبعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ـ إيران لسنة ١٤١٠ هـ.

٥٠. **تفسير مجاهد بن جبر**: تحقيق مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد ـ باكستان.

٥١. **تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي**: الطبعة الأولى مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٥ هـ.

٥٢. **التمهيد لابن عبد البر**: طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب لسنة ١٣٨٧ هـ.

ـ ث ـ

٥٣. **الثقات لابن حبان**: الطبعة الأولى مؤسسة الكتب الثقافية، بحيدر آباد الدكن ـ الهند لسنة ١٣٩٣ هـ.

ـ ج ـ

٥٤. **جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي**: المطبعة العلمية، قم ـ إيران لسنة ١٤٠٠ هـ.

٥٥. **جامع البيان لان جرير الطبري**: طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٥ هـ.

٥٦. **الجواهر السنية للحر العاملي**: مطبعة النعمان، النجف الأشرف ـ العراق لسنة ١٣٨٤ هـ.

٥٧. **الجوهرة في نسب الإمام علي (عليه السلام) وآله للبري**: الطبعة الأولى مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٢ هـ.

- ح -

٥٨. **الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب (عليه السلام) للسيد فخار بن معد:** الطبعة الأولى انتشارات سيد الشهداء، قم ـ إيران لسنة ١٤١٠ هـ.

٥٩. **حلية الإبرار للسيد هاشم البحراني:** الطبعة الأولى مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران لسنة ١٤١١ هـ.

٦٠. **حلية الإبرار للشيخ عباس القمي.**

- خ -

٦١. **الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي:** الطبعة الأولى كاملة محققة مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قم ـ إيران لسنة، ذي الحجة ١٤٠٩ هـ.

٦٢. **الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري:** الطبعة الأولى انتشارات الشريف الرضي لسنة ١٤٢٢ هـ.

٦٣. **خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي:** طبعة مكتبة نينوى الحديثة، طهران ـ إيران.

٦٤. **الخصال للشيخ الصدوق:** طبعة منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ـ إيران لسنة، ١٨/ذي الحجة الحرام/١٤٠٣ هـ.

ـ د ـ

٦٥. **الدر المنثور لجلال الدين السيوطي:** طبعة دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٦٦. **الدر النظيم لابن حاتم العاملي:** طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ ايران.

٦٧. **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة لسيد علي خان المدني**: طبعة منشورات مكتبة بصيرتي، قم ـ ايران لسنة ١٣٩٧ هـ.

٦٨. **الدلائل للبيهقي**.

٦٩. **ديوان شيخ الأباطح**.

ـ ذ ـ

٧٠. **ذرايع البيان**.

٧١. **الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني**: طبعة دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

ـ ر ـ

٧٢. **رجال النجاشي**: الطبعة الخامسة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران لسنة ١٤١٦ هـ.

٧٣. **روضة الواعظين للفتال النيسابوري**: مطبعة منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران.

ـ س ـ

٧٤. **سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي**: الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٤ هـ.

٧٥. **سنن الترمذي**: الطبعة الثانية دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٣ هـ.

٧٦. **سير أعلام النبلاء للذهبي**: الطبعة التاسعة مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٣ هـ.

٧٧. **سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق بن يسار**: طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٧٨. **السيرة الحلبية:** طبعة دار المعرفة، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٠ هـ.

٧٩. **السيرة النبوية لابن كثير:** طبعة دار المعرفة، بيروت ـ لبنان لسنة ١٣٩٦ هـ.

٨٠. **السيرة النبوية لابن هشام:** طبعة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ـ مصر لسنة ١٣٨٣ هـ.

ـ ش ـ

٨١. **شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي:** من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية.

٨٢. **شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي:** الطبعة الثانية مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران لسنة ١٤١٤ هـ.

٨٣. **شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:** الطبعة الأولى دار إحياء الكتب العربية، مؤسسة اسماعيليان لسنة ١٣٧٨ هـ.

٨٤. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض:** طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٩ هـ.

٨٥. **شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني:** الطبعة الأولى مؤسسة الطبع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي لسنة ١٤١١ هـ.

ـ ص ـ

٨٦. **الصحاح للجوهري:** الطبعة الرابعة دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٧ هـ.

٨٧. **صحيح البخاري:** طبعة دار الفكر لسنة ١٤٠١ هـ.

ـ ط ـ

٨٨. **الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد:** طبعة دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٨٩. **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس:** الطبعة الأولى مطبعة الخيام، قم ـ إيران لسنة ١٣٩٩ هـ.

ـ ع ـ

٩٠. **العثمانية للجاحظ:** مطبعة دار الكتاب العربي، مكتبة الجاحظ، مصر.

٩١. **العدد القوية لعلي بن يوسف الحلي:** الطبعة الأولى مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ـ إيران لسنة ١٤٠٨ هـ.

٩٢. **عيون الأثر لابن سيد الناس:** طبعة جديدة مصححة مؤسسة عز الدين، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٦ هـ.

ـ غ ـ

٩٣. **الغدير للشيخ الأميني:** الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان لسنة ١٣٨٧ هـ.

٩٤. **الغيبة للشيخ الطوسي:** الطبعة الأولى مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران لسنة، شعبان ١٤١١ هـ.

ـ ف ـ

٩٥. **الفايق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري:** الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٧ هـ.

٩٦. **فتح الباري لابن حجر:** الطبعة الثانية دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٩٧. **الفصول المختارة للشريف المرتضى:** الطبعة الثانية دار المفيد، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٤ هـ.

٩٨. **فقه السيرة للبوطي:** الطبعة العاشرة دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١١ هـ.

٩٩. **الفهرست لابن النديم.**

١٠٠. **الفهرست للشيخ الطوسي:** الطبعة الأولى مؤسسة نشر الفقاهة، مؤسسة النشر الإسلامي لسنة، شعبان/١٤١٣ هـ.

ـ ك ـ

١٠١. **الكافي للشيخ الكليني:** الطبعة الخامسة دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران لسنة ١٤٠٩ هـ.

١٠٢. **كتاب الدعاء للطبراني:** الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٣ هـ.

١٠٣. **كتاب العين للخليل الفراهيدي:** الطبعة الثانية مؤسسة دار الهجرة، لسنة ١٤٠٩ هـ.

١٠٤. **كحل البصر للشيخ عباس القمي.**

١٠٥. **كشف الغمة لابن أبي الفتح الاربلي:** الطبعة الثانية دار الأضواء، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٥ هـ.

١٠٦. **كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق:** طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران لسنة، محرم الحرام ١٤٠٥ هـ.

١٠٧. **كنز العمال للمتقي الهندي:** طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٩ هـ.

١٠٨. **كنز الفوائد لأبي الفتح الكراجكي:** الطبعة الثانية مكتبة المصطفوي، قم ـ إيران لسنة ١٤١١ هـ.

١٠٩. **الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي:** طبعة مكتبة الصدر، طهران ـ إيران.

ـ ل ـ

١١٠. **لباب النقول لجلال الدين السيوطي:** طبعة دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان.

١١١. **لسان العرب لابن منظور:** مطبعة نشر أدب الحوزة، قم ـ إيران لسنة، محرم الحرام ١٤٠٥ هـ.

ـ م ـ

١١٢. **المجدي في أنساب الطالبيين لعلي بن محمد العلوي:** الطبعة الأولى مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ ايران لسنة ١٤٠٩ هـ.

١١٣. **مجمع البحرين للشيخ الطريحي:** الطبعة الثانية مكتب نشر الثقافة الإسلامية لسنة ١٤٠٨ هـ.

١١٤. **مجمع الزوائد للهيثمي:** طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٠٨ هـ.

١١٥. **المجموع لمحيي الدين النووي:** مطبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

١١٦. **مختصر بصائر الدرجات لحسن بن سليمان الحلي:** الطبعة الاولى منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ـ العراق لسنة ١٣٧٠ هـ.

١١٧. **مستدرك سفينة البحار للشاهرودي:** طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران لسنة ١٤١٨ هـ.

١١٨. **المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري:** طبع بتحقيق المرعشي.

١١٩. **مسند أبي يعلى الموصلي:** طبعة دار المأمون للتراث.

١٢٠. **مسند أحمد بن حنبل:** طبعة دار صادر، بيروت ـ لبنان.

١٢١. **المصنف لابن أبي شيبة الكوفي:** الطبعة الأولى دار الفكر، بيروت ـ لبنان لسنة، جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ.

١٢٢. **المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني:** طبعة منشورات المجلس العلمي.

١٢٣. **المعارف لابن قتيبة:** مطبعة دار المعارف، القاهرة ـ مصر.

١٢٤. **معجم الأدباء لياقوت الحميري.**

١٢٥. **المعجم الأوسط للطبراني:** طبعة دار الحرمين، لسنة ١٤١٥ هـ.

١٢٦. **المعجم الكبير للطبراني:** طبعة دار إحياء التراث العربي، القاهرة ـ مصر.

١٢٧. **مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني:** الطبعة الثانية منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق لسنة ١٣٨٥ هـ.

١٢٨. **مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب:** مطبعة المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق لسنة ١٣٧٦ هـ.

١٢٩. **مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمحمد بن سليمان الكوفي:** الطبعة الأولى مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم ـ إيران لسنة/ محرم الحرام ١٤١٢هـ.

١٣٠. **المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان.**

١٣١. **منتهى الآمال للشيخ عباس القمي.**

١٣٢. **المواهب اللدنية.**

ـ ن ـ

١٣٣. **نقباء البشر لآغا بزرك الطهراني.**

١٣٤. **النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:** الطبعة الرابعة مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران.

ـ هـ ـ

١٣٥. **هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي**: طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٣٦. **الوافي بالوفيات للصفدي**: طبعة دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤٢٠ هـ.

١٣٧. **وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي**: الطبعة الثانية مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم ـ إيران لسنة ١٤١٤ هـ.

محتويات الكتاب

المبحث الاول

المبحث الثاني



المبحث الثالث



المبحث الرابع





المبحث السابع